الاثنين 11 نيسان 2022
العدد 4607 السنة السادسة عشرة
lundi 11 avril 2022 nº 4607 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

رأس المال
تهريب السلع والأصول

● زياد حافظ
الرأسمالية الريعيّة الأميركيّة إلى أين؟

● ماهر سلامة
مواجهة هيمنة الدولار

الضفة تؤازر جنين: «عش الدبابير» ليس يتيماً [8]

البخاري في بيروت: مفتاح انتخابي لا سفير
القطيعة السعودية للعهد مستمرة [2]

موظّفو القطاع العام ضحايا كلّ الأزمنة؟
[6 ـ 7]

(أرشيف ـ مروان طحطح)

انتخابات 2021

عاصمة جبل عامل
الثنائي يرث الثنائية

4

الحدث

موسكو تستعد لما بعد الدونباس

10

رياضة

الرياضي والحكمة
عودة إلى زمن المشاكل

12

قضية اليوم

القطيعة السعودية مستمرة مع العهد... والمصالحة تشمل خصوم حزب الله فقط

البخاري في بيروت: مفتاح انتخابي لا سفير

(هيثم الموسوي)

ميسم رزق

عملياً، عودة السفير السعودي وليد البخاري إلى بيروت ليست إنهاء للقطيعة الدبلوماسية مع لبنان، رغم البيان الذي دبّجته الخارجية السعودية لتغطية هذه العودة. إنهاء القطيعة يفترض، وفق الحدّ الأدنى من اللياقات الدبلوماسية، أن يكون قصر بعبدا والرئيس ميشال عون الوجهة الأولى للبخاري. فيما المؤشرات الأولى لحركة السفير العائد تشير إلى أن ممثل الرياض في لبنان بات «مفتاحاً انتخابياً» يدعو إلى «موائد الرحمن»، لا سفيراً دبلوماسياً، وإن كان الغموض لا يزال يحيط بالموقف السعودي الذي

> السنيورة يتحرّك بأريحيّة أكبر في بيروت ويستقطب سليم دياب

يحمل إشارات متناقضة حيال الاستحقاق واللوائح والمرشحين، وصولاً إلى المال الانتخابي.

مصادر على صلة وثيقة بالسعوديين أكدت أن «عودة السفير انتخابية بامتياز»، وأن «القطيعة مع العهد ورئيس الجمهورية مستمرة، فيما المصالحة هي مع خصومه وخصوم حزب الله». وقالت المصادر إنه «ليس من الضرورة أن تُعلن المملكة موقفاً من الانتخابات، لكن الشخصيات التي ستحدّد لها مواعيد في السفارة ستشكل مؤشراً للوجهة السعودية».

ويبدو الرئيس فؤاد السنيورة، حتى الآن، في مقدّم هذه الشخصيات. فقد سُجّل بعد عودة البخاري الاتصال الثاني خلال أيام بينه وبين رئيس الحكومة السابق، الذي تشير المصادر إلى أن حراكه الانتخابي «انطلق»، وأنه «بات أكثر أريحية وجرأة في مأعبة تيار المستقبل، بعدما هالته بداية هجمة التخوين المستقبلية ضده باعتباره مُنقلباً على قرار الرئيس سعد الحريري»، فضلاً عن «التحرك المضاد» الذي يقوم به الأمين العام للتيار أحمد الحريري وأحمد هاشمية والماكينة الانتخابية الزرقاء، إن لجهة دعم مرشحين من تحت الطاولة أو الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات.

ويحاول السنيورة حالياً الالتفاف على هجمة «المستقبل» من داخله. فبعدما نجح في تحقيق اختراق في العائلات البيروتية التي كانت ترفضه، بدأ باستقطاب مستقبليين سابقين انضموا إلى ماكينته الانتخابية، وإن كان هؤلاء لا يزالون يحاذرون الإعلان عن نشاطهم تحسباً لرد فعل الحريري. وفي هذا السياق، فإن كثراً ممن كانوا مفاتيح انتخابية للتيار، صاروا أكثر ميلاً لدعم لائحة «بيروت تواجه».

و«الصيد الأسمن» الذي نجح السنيورة في استقطابه هو النائب السابق سليم دياب الذي بدأ يتحرك بفعالية في الأوساط البيروتية دعماً للائحة «بيروت تواجه»، علماً بأنه لا يزال يحظى بعلاقات متينة مع القواعد الشعبية ويمتلك شبكة علاقات واسعة في بيروت يمكن أن يجيّرها لمصلحة اللائحة. كما بدأ السنيورة التحرك على خط نافذين ورجال أعمال مقربين من الحريري، والتأكيد لهم أن خوضه المعركة في بيروت هو «مشروع مؤقت لثلاثة يستتبع حزب الله المدينة، في انتظار عودة الحريري». وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن مساعي السنيورة استهدفت أخيراً أحد المقاولين الكبار المعروفين بقربهم من الحريري، إلا أن الرجل لم يكن متحمساً لرئيس الحكومة السابق وطروحاته.

كذلك يعمل السنيورة على فتح خطوط مع معظم المرشحين السنّة، حتى أولئك الذين لن «يهضموا» دوره ويتمسكون بـ«الوفاء» للرئيس الحريري، ولو بالمواقف. قنوات السنيورة المفتوحة من فوق الطاولة وتحتها، هدفها واضح، وفق ما يردّد مطّلعون، مشيرين إلى أنه يطمح إلى رعاية كتلة نيابية تضمّ النواب الذين خرجوا من رحم تيار المستقبل كـ(محمد القرعاوي ومحمد سليمان ووليد البعريني وهادي حبيش) تحفظ نفوذه في حال أفول نجم الحريري تماماً، وتشكّل مع القوات اللبنانية والشخصيات السنّية الأخرى كالنائب فؤاد مخزومي ونبيل بدر في حال فوزه، «بيضة قبان» المجلس الجديد، وتكون مهمتها رفض التسويات التي يمكن أن تعقدها القوى السياسية، بالتماهي مع الموقف السعودي إذا ما قرّر رعاية السنيورة، على أن تكون الخطوة الأولى عدم انتخاب نبيه بري لرئاسة مجلس النواب والامتناع عن إعطاء الثقة للحكومة المقبلة.

تقرير

«النقابة تنتفض» تنهزم... والأحزاب تسترجع «المهندسين»

لينا فخر الدين

الفوز الكبير الذي سجّلته «النقابة تنتفض» في انتخابات نقابة المهندسين قبل 7 أشهر، تبخّر من دون أن تتمكّن من مراكمة جهودها. تكتّلت «المنتفضون» من الحشد، تماماً كما فشلوا في الحصول على مقعد واحد، ولو أنّهم حاولوا الإيحاء بأنّ الفائز يوسف غنطوس من حصتهم، علماً بأنّ ماكينة الأحزاب تؤكد أنّها أيضاً صبّت أصواتها له.

في المحصلة، تمكنت الأحزاب من حصد أكثر من 2500 صوت مقابل نحو 800 صوت لـ«النقابة تنتفض»، علماً بأنّ نسبة المشاركة كانت منخفضة ولم تتعدّ 3400 مشارك، فيما كانت تصل إلى أكثر من 7 آلاف في السنوات السابقة.

تُثأني أمل وحزب الله سجّلا أعلى نسبة مشاركة (حوالي 650 صوتاً للحزب و500 لأمل) ما أدى إلى مرّ الاستحقاق «على السكت». لم يتمكّن «المنتفضون» من الحشد، تماماً كما فشلوا في الحصول على مقعد واحد، ولو أنّهم حاولوا الإيحاء بأنّ الفائز يوسف غنطوس من حصتهم، علماً بأنّ ماكينة الأحزاب تؤكد أنّها أيضاً صبّت أصواتها له.

في المحصلة، تمكنت الأحزاب من حصد أكثر من 2500 صوت مقابل نحو 800 صوت لـ«النقابة تنتفض»، علماً بأنّ نسبة المشاركة كانت منخفضة ولم تتعدّ 3400 مشارك، فيما كانت تصل إلى أكثر من 7 آلاف في السنوات السابقة.

تُثأني أمل وحزب الله سجّلا أعلى نسبة مشاركة (حوالي 650 صوتاً للحزب و500 لأمل) ما أدى إلى «اكتساحهما» المقاعد: عضوان لحزب الله والأعضاء الأربعة في المجلس التأديبي لحركة أمل. فيما أدّى الخلاف بين الثنائي إلى فك التحالف بين تكتّل الأحزاب، بعدما رفضت أمل ترشيح عضوين شيعيين إلى الهيئة العامة، معتبرةً أن التوازن المذهبي ضروري. وهذا ما أدى إلى تشكيل لائحتين منفصلتين، فيما تركت أمل واحداً من مقعدَي الهيئة العامة شاغراً لمرشح حزب الله وليد الجبالي.

كان «كوكتيل» التحالفات سوريالياً: حركة أمل ضد حزب الله ومعه في الوقت عينه، الجماعة الإسلامية مع الحزب، حزب القوات اللبنانيّة يقف خلف حركة أمل وتيار المستقبل والحزب التقدمي الاشتراكي. أما «مفاجأة» التحالفات فكانت لمجموعة «مواطنون ومواطنات في دولة» التي تحالفت مع حزب الله والجماعة ومجموعة المقاولين!

وتمكّنت لائحتا الأحزاب من الحصول على 8 مقاعد من أصل 9: 2 لحزب الله، 4 لحركة أمل، 1 مدعوم من القوات، 1 مدعوم من الحزب التقدمي الاشتراكي. فيما كان تيار المستقبل الخاسر الأكبر بعدما خسر مرشّحَيه.

في المحصلة، لم يعد لـ«النقابة تنتفض» الغالبية الساحقة داخل مجلس النقابة، بعدما عادت الأحزاب من خلال إدخال تعديلات على دفتر الشروط القديم، ما أدى إلى توقيع عقد بالتراضي مع شركة «مبدٍ غلف»! أما «الكارثة الكبرى» فتجلّت في إلغاء العقد مع شركة التدقيق في المحاسبة، ما أدى إلى رفض هيئة المندوبين التوقيع على الحساب القطعي الجديد قبل أن تعمد النقابة الى توكيل شركة تدقيق جديدة.

هذا ما ينفيه أحد أعضاء مجلس النقابة، مؤكداً «أننا لا نقوم بأي عقد إلا بعد التمحيص لما فيه مصلحة النقابة»، لافتاً إلى أنّه «لا يمكننا أن نمحو عقوداً من الفساد خلال 7 أشهر».

ويشدّد على أن أسباب الخسارة عديدة؛ منها ما هو مرتبط بالوضع الاقتصادي، بالإضافة إلى «شنّ الأحزاب حملة دعائية ممنهجة لتشويه صورة مجلس النقابة الحالي ما أدى إلى إحباط في صفوفنا، فضلاً عن هجرة نحو 40% من المناصرين».

النقيب عارف ياسين ومجموعته. انتصار الأحزاب التي تلقت هزيمة كبرى في حزيران الماضي مردّه أساساً أداء «القوى التغييرية» التي لم تتمكن من إحداث تغيير داخل النقابة، وفق أحد المسؤولين الحزبيين. ويشير إلى أنّ «سوء الإدارة الحالية داخل النقابة كان واضحاً، فهي عادت لتركب ما كانت تنتقده في مجلس الإدارة القديم كوضع الأموال في المصارف مثلاً». الانتكاسة الكبرى، وفق ما يقول، تبدّت في معالجة ملف الاستشفاء من خلال إدخال تعديلات على دفتر الشروط القديم، ما أدى إلى توقيع عقد بالتراضي مع شركة «مبدٍ غلف»! أما «الكارثة الكبرى» فتجلّت في إلغاء العقد مع شركة التدقيق في المحاسبة،

تقرير

خلافات التيار ــ ميقاتي تعطّل الخارجيّة

بواصل الدبلوماسيون والموظفون في وزارة الخارجية، اليوم، إضرابهم الذي أعلنوه يوم الجمعة الماضي احتجاجاً على تأخير التشكيلات الدبلوماسية، فيما لا يبدو الالتزام بالإضراب شاملاً. وقد حضر قسم كبير من الموظفين الى الوزارة يوم الجمعة من دون أن يزاول الجميع أعمالهم.

الإضراب جاء احتجاجاً على التأخير المستمر في إقرار مجلس الوزراء مشاريع التشكيلات والتصنيفات والترفيعات في الوزارة، وبعدما أبلغ وزير الخارجية عبد الله بوحبيب سفراء في الإدارة المركزية ومسؤولين في الدولة بأنه يشعر بعدم رغبة رئيس الحكومة نجيب ميقاتي في إقرار التشكيلات سريعاً. وبحسب معلومات «الأخبار»، فقد أرسل الوزير إلى رئيس الحكومة اقتراحات عدة تتراوح بين تشكيلات جزئية وموسعة، إلا أن التعديلات التي أتته من رئاسة الحكومة تشير إلى عدم رغبة رئيس الحكومة في إقرارها.

ميقاتي، من جهته، عبّر عن موقفه من السجال حول التشكيلات في تقرير إخباري نشره موقع «لبنانون 24» الذي يملكه، جاء فيه أن رئيس الحكومة اتفق على معايير مع وزير الخارجية، لكن ما وصله من مسوّدات للتشكيلات والتصنيفات لم يراعِ هذه المعايير. ويريد ميقاتي، بحسب التقرير، إعطاء الأولوية لسفراء الإدارة المركزية الذين مضى على وجودهم في لبنان أكثر من 10 سنوات وضرورة نقلهم الى سفارات في الخارج، حيث أمضى سفراء أكثر من عشر سنوات بعيداً عن الإدارة المركزية ما يشكل مخالفة قانونية.

وتحدثت مصادر في الوزارة عن خلافات تتجاوز التباين حول من يتولى هذه السفارة أو تلك، إلى خلاف مستحكم بين فريق التيار الوطني الحر، الذي يفترض أن الوزير يمثّله، وفريق رئيس الحكومة، إذ إن التيار يرغب في عدم تدخل المسلمين في المواقع التي تخص المسيحيين، فيما يتهم فريق ميقاتي التيار والوزير بأنه يريد إدخال تعديلات تخص مواقع تتعلق بطوائف أخرى، كما تجدّد الخلاف حول مصير الأمين العام للخارجية السفير هاني شميطلي الذي يسعى فريق التيار الى إبعاده، وكان يفترض أن يتولّى سفارة في الخارج، فيما يفضّل رئيس الحكومة أن يبقى في مهمته لبعض الوقت. وتردّد في هذا السياق أن بوحبيب يفكر في إصدار أمر مهمة يكلف شميطلي بموجبه تولّي امور سفارة لبنان في إحدى العواصم العربية.

إلى ذلك، وافق وزير الخارجية على اقتراحات اللجنة المكلفة إعداد آليات العمل الخاصة بإجراء الانتخابات في الخارج، وحوّلها الى قرارات ابلغت الى السفارات التي يفترض أن تباشر في تنفيذ بعض الإجراءات اللوجستية كاستئجار القاعات المخصصة لاستضافة أقلام الاقتراع.

(الأخبار)

ابراهيم الأمين

لملمة

المعترضون على الأداء السياسي الداخلي لحزب الله، يكرّرون لازمة أن قيادة الحزب لا تسمع إلا وجهة نظر واحدة، وتركّز نقاشاتها مع الحلفاء أو الأصدقاء المقربين فقط، وأن معطياتها حول الخصوم أو المنتقدين تستقيها من المقرّبين أنفسهم. وفي نهاية كل نقاش، يلجأ المحتجّون إلى سردية مفادها: حزب الله لا يثق إلا بمن يعملون معه، ويضيق صدره إزاء كل وجهة نظر تختلف معه في تشخيص الأزمة أو علاجها.

في زمن الانتخابات النيابية تصبح الاعتراضات أكبر. فالأمر لا يقتصر على آراء أو أفكار، بل يتحول إلى برامج وأدوات عمل ومرشحين. وهؤلاء ينبتون فجأة ليصيروا جيشاً كبيراً ينتشر في كل الأمكنة. ولأن أغلبهم لا يملكون كامل العدة للوصول إلى موقع القرار، لا يجدون غير حزب الله يتوجهون إليه، طالبين الدعم أو رافعين الاعتراض، ناهيك عن منطق الابتزاز الضمني لدى كثيرين ممن يعتبرون أن المقاومة تحتاجهم، بالتالي عليها مقايضتهم بما لا يقلّ عن... مقعد نيابي!

قيل كلام كثير ونسبت مواقف وتحليلات وتقييمات إلى قيادة الحزب حول طريقة التعامل مع الملف الانتخابي. وبمعزل عن حقيقة الأمر أو دقته، لم يسمع الجمهور من قيادة الحزب أو قادته كلاماً يعكس حصول مراجعة شاملة. بل إن المسار الذي سلكته الترشيحات النيابية من جهة،

> العقل الذي يدير المعركة الانتخابية في حزب الله لا يقيم وزناً أكبر من حجمه لمتغيرات السنوات الثلاث الأخيرة من دون تجاهلها

والتحالفات من جهة أخرى، تشير إلى أن الحزب إما أنه أجرى تقييماً وجد بعده أن لا مبرر لتغيير جوهري، وإما أنه لم يشعر بضرورة - أو حتى بجدوى - هذه المراجعة. في الحالتين، انتقل الحزب سريعاً إلى مربع العمل على تنظيم الصفوف.

دوّت صفارات الإنذار. أُعيد تحريك الماكينة الحزبية على مختلف المستويات. نشاط كبير للفرق المتخصصة في الإحصاءات والتدقيق في لوائح الناخبين ومناطق انتشارهم وطريقة الوصول إليهم، مع عمل إضافي على ماكينات الحلفاء، لرصد جاهزيتها وفعاليتها، ولتحديد حاجاتها من الدعم الذي ما من أحد يوفّره غير حزب الله. وهو ليس دعماً مادياً فحسب كما يعتقد كثيرون، بل يتضمّن أشكالاً أخرى تتعلق بتنظيم العملية لوجستياً ومعلوماتياً وإدارياً. كما يلجأ الحزب مرة جديدة إلى الأصوات الحزبية أو الحليفة أو الصديقة لإطلاق أوسع عملية تعبئة وتحشيد للجمهور اللصيق أو الداعم لتأمين مشاركة أكبر في يوم الاقتراع. وفي هذه الحالة، لا يوفر الحزب سلاحاً. وهنا، يظهر الدور المركزي لأمينه العام السيد حسن نصرالله الذي سيعزز حضوره الإعلامي وخطبه في الفترة الفاصلة عن موعد الانتخابات، لما له من تأثير عند الجمهور، بمن فيه المعترضون على الحزب الذين يمنحون الرجل هامشاً من السماح هدفه الفعلي توسيع هامش المناورة عند المعترضين أنفسهم للعودة إلى التزام خيار دعم المقاومة!

تشخيص حزب الله بأن هدف خصومه من المعركة الانتخابية ليس تحصيل مقاعد نيابية فحسب، بل تعديل صورة التمثيل السياسي لتعديل واقع السلطات التنفيذية والتشريعية كافة، وصولاً إلى إطلاق معركة رئاسية مبكرة ربطاً بنتائج الانتخابات النيابية. وهذا ما يفرض على الحزب آليات عمل منها:

أولاً: تنظيم فوضى الترشيحات النيابية، وهي عملية استوجبت تدخل السيد نصرالله شخصياً، فاستقبل الشهر الماضي عدداً كبيراً من الشخصيات، سواء من مرشحين أو ناخبين كبار، ونجح في ترحيل الخلافات إلى ما بعد الانتخابات، مع وعد بإطلاق ورشة إعادة تنظيم العلاقات مع الحلفاء والأصدقاء. وبالطبع، لم تكن الحصيلة كلها كما يشتهيها الحزب، إذ برزت ندوب في بعض الأمكنة وإن كانت من النوع القابل للعلاج.

ثانياً: السعي إلى تنظيم التحالفات داخل الفريق الواحد لأن الخصوم إنما يستهدفون الجميع سياسياً ولو بأساليب مختلفة، ما يفرض التفاهم على آليات لتحالفات انتخابية لا تحتاج إلى تنازلات سياسية كبيرة. وقد استفاد الحزب في هذا السياق من فترة هدوء عند بعض الحلفاء الذين تصرفوا بواقعية حيال ما يمكن تحقيقه.

ثالثاً: محاولة خلق مناخ إيجابي بين كل حلفاء الحزب على قاعدة أن طبيعة المعركة تستوجب من الجميع القبول بدور الحزب كمرجعية تنسيقية بينهم، ما يتيح له الضغط هنا والتنازل هناك، حتى تأمّنت التحالفات التي قامت على شكل لوائح في غالبية الدوائر.

رابعاً: إعادة تعويم صورة اللقاء السياسي بين جميع الحلفاء، الأمر الذي يستهدف رفع المعنويات لدى قواعد الفريق ككل، وهو أمر ضروري لضمان زيادة نسبة التصويت. إذ إن الخشية كبيرة من تراجع نسبة المقترعين في صفوف حلفاء حزب الله ما يسمح للخصوم بتحقيق اختراقات غير محمودة.

خامساً: السعي إلى حصر النقاش في بند واحد وهو الفوز بالانتخابات النيابية كفريق كبير، وتركيز الحملات السياسية والانتخابية ضد الخصوم، وعدم الوقوع تحت تأثير حملاتهم.

خلاصة الجولة الأولى من هذا البرنامج تبدو إيجابية لدى قيادة حزب الله، باعتبار أن الهواجس التي رافقت مرحلة الترشيحات كانت مقلقة ولو بحدود، لكن «اللملمة» كانت ممكنة ووفّرت مناخاً يساعد على الانخراط في المرحلة الثانية الخاصة بتعبئة الشارع ليوم الاقتراع. وسيدخل الحزب وجميع حلفائه في المرحلة الثانية التي تركز على حشد الأصوات. والسؤال هنا هو حول طبيعة الخطاب السياسي الذي ينجح في تحفيز الناس، خصوصاً المترددين منهم، للاقتراع في 15 أيار المقبل.

لكن، هل هذا يكفي؟

واضح أن من لديه ملاحظات أو تصورات بديلة عن كل ما يحصل، لم يلتقط الإشارة الأبرز الصادرة عن عقل حزب الله، وهي أن الحزب لا يرى تبدلاً في عناوين معركة العام 2022 عن عناوين معركة العام 2018. وهذا يقود، ببساطة، إلى استنتاج واضح بأن العقل الذي يدير هذه العملية، لا يقيم وزناً أكبر من حجمه - لا يتجاهل لكنه غير مقتنع بتوصيف الآخرين - لتغيرات السنوات الثلاث الأخيرة، خصوصاً حجم الانزياح الذي قام بعد حراك 17 تشرين عن فريق حزب الله وحلفائه. إذ إن هناك افتراضات مخالفة لما تم الترويج له من قبل الخصوم. بل إن دراسات واستطلاعات أجريت من الفريق المناهض لحزب الله وحلفائه، لا تعطي رافعي لواء التغيير مكانة تجعل حزب الله وحلفاءه في حالة قلق. بل على العكس من ذلك، فإن من يراقب سلوك القوى والمجموعات والشخصيات التي تقدم نفسها ناطقة باسم حراك 17 تشرين، لا يجد من عناصر القوة ما يكفي لقلب الطاولة. وربما هذا هو السبب الرئيسي في القلق والخيبة لدى الأميركيين على وجه الخصوص، ولو أنهم لن يتوقفوا - كما حلفاؤهم في الغرب أو الخليج - عن دعم كل خصوم المقاومة حتى بعد الانتخابات.

عملياً، ليست هناك إشارة تعكس قناعة لدى حزب الله بضرورة إحداث تغيير في مقاربة الملف السياسي الداخلي. وهذا أمر مقلق في حال كان الحزب يراهن، من جديد، على أن فوز الفريق الذي يدعمه في الانتخابات من شأنه فتح الباب أمام تغييرات نوعية على صعيد إدارة البلاد... لأن ما يحصل لا يعدو كونه محاولة لتثبيت الوقائع اللبنانية على حالها، في انتظار فرج لا نعرف من أين ومتى يأتي... عملياً، حزب الله يلملم الصفوف. وكل كلام آخر، هو كلام بكلام!

انتخابات 2022

عاصمة جبل عامل: الثنائي يرث ثنائية

النبطية ليست مدينة عاشوراء فقط. لطالما كانت عاصمة جبل عامل حاضرة سياسية وثقافية، من «جمعية الاتحاد والترقّي» (أسّسها الشيخ أحمد رضا عام 1908) إلى إعلان الحكومة العربية (من دارة آل الفضل في المدينة عام 1924) والصالونات الأدبية، وصولاً إلى المقاومة الفلسطينية والوطنية ضد إسرائيل. ثنائية عسيران ــ الزين في المدينة حلّت محلّها ثنائية حزب الله وحركة أمل. حالة الرفض الأبرز لحسم نتيجة الانتخابات قبل إجرائها منذ 1992. كانت خيمة «17 تشرين» التي لم تصمد طويلاً

أمال خليل

ما من وقع يذكر لتغيير حركة أمل نائبيها في قضاء النبطية. استبعد ياسين جابر ليحلّ محله ناصر جابر. الأول ترشّح عام 1996 بعد استبعاد عماد جابر. لم يصنّف التبديل استجابة لمطالب التغيير، بل «تحكماً عن بعد بتمثيل المدينة عبر اختيار نائب من أكبر عائلاتها» على ما تقول فعاليات نبطانية. في المقابل، يرفض الحركيون تهم مصادرة القرار من أصحاب «النعرة المدينية». يشير هؤلاء إلى أن عماد جابر نفسه خسر

> يكيل كثر اتهامات للحزب والحركة بمصادرة الحياة العامة سياسياً واجتماعياً وثقافياً منذ الثمانينات

عندما ترشح قبل وجود الحركة في دورتي 1968 و1972 بدعم من آل عسيران، بينما «جاء بالنيابة إلى العائلة في زمن أمل عام 1992».

لم يحظ اختيار ناصر جابر بحفاوة بالغة رغم أن لـ«الحاج» وإخوته المغتربين في أفريقيا مشاريع خيرية وخدماتية في المنطقة، أبرزها إعادة بناء جسري حبوش والجرمق بعد عدوان 2006. لكن «أودمته وخبره ليسا كافيين لكسب مزاج النبطانيين».

(علي حشيشو)

كثيرون منهم متضامنون مع ياسين جابر الذي «استُغني عنه بعد الدعم الذي قدمه للحركة مادياً وتشريعياً طوال 26 عاماً». ورغم أنه كان من نواب الـ«وبك أند»، إلا أن «حضوره كان دائماً من دعمه للمدارس الرسمية إلى فتح مركز (والده) كامل جابر الثقافي لكل الأنشطة».

يقرّ ناصر جابر بأنه «خام» سياسياً، ويقول لـ«الأخبار» إنه لم يفكر مرة في العمل السياسي، مع ولائه «الطبيعي لخط الثنائي». وعن سبب قبوله ترشيح الرئيس نبيه بري له، يبرّر نائب النبطية، الحركي العتيق هاني قبيسي الذي يشاركه في معظم الجولات الانتخابية: «إذا الله أحب عبداً ابتلاه». مشيراً إلى أن ترشيح ناصر هو «سعي للتغيير مع قرار من الرئيس بتمثيل المغتربين بعد الأزمة الاقتصادية المصرفية التي طالتهم». الشائعات التي رافقت تسميته تشير إلى أنه وافق على الترشح بعد رفض متمولين آخرين في الاغتراب الترشح لتأمين ممولين لماكينة الحركة. يقول جابر إن «الرئيس (بري) يقدّر بأن للنبطية حيثية»، نافياً أن يكون قد جيء به ليقوم بدور الرافعة المادية للائحة. ويؤكد أنه سيكون «صوت المغتربين وشؤونهم في المجلس النيابي وإدارات الدولة». المغترب منذ 1979 واحد ممن احتجزت ودائعهم في المصارف، يشير إلى أن الجاليات اللبنانية في العالم «لم تعتمد يوماً على الدولة، بل كنا نحن من نساعدها في السلم والحرب، قبل أن تكافئنا بحجز جني عمرنا». رغم ذلك، يتعرض لوابل من الانتقادات خلال لقاءاته مع الناس الذين يحمّلونه مسؤولية فساد الدولة كلها وتراجع أداء «أمل». يقرّ بأن حظه العاثر أدخله إلى الشأن العام في أسوأ ظرف. ويقرّ أيضاً بأن «الناس معهم حق، ولا سيما في النبطية».

عند مدخل «الڤيلا» في كفرجوز، ترتفع أكوام النفايات كما في القضاء برمّته. استبدال ناصر بياسين أو قبيسي بعبد اللطيف الزين (عام 2018)، لم يغير في الواقع التنموي في المنطقة التي تعاني من أزمة النفايات منذ أكثر من عشر سنوات. أزمة يتشارك في تمديدها مسؤولون محليون ورؤساء بلديات من الثنائي بسبب سوء إدارة معمل ومكب الكفور. لا يخفي قبيسي مسؤولية الطرفين، لكنه يشرك فيها الدولة أيضاً. ولفت إلى أنه في عام 2007، قدم لوزارة البيئة شركة أجنبية كانت تنوي معالجة النفايات في المنطقة، مبشراً بقرب الاتفاق مع شركة أخرى ستتسلم القطاع لتوليد الكهرباء.

يكيل كثر اتهامات للحزب والحركة بمصادرة الحياة العامة سياسياً واجتماعياً وثقافياً منذ الثمانينيات. لكن الثنائية تلك ورثت ثنائية أخرى فعلت الفعل نفسه. منذ الأربعينيات، دخلت الأحزاب إلى مشهد ثنائية عسيران والزين ومن خلفهما آل الأسعد. وبحسب مجلد «النبطية في الذاكرة» لعلي مزرعاني، فقد تأسست في النبطية عام 1943 نواة منظمة الحزب الشيوعي اللبناني. وبالتزامن، حمل محمد الصباح الحزب السوري القومي الاجتماعي من فلسطين حيث تعرّف إلى مبادئه. وتعرف رفيق شاهين إلى غسان تويني عام 1944 في الجامعة الأميركية في بيروت وأنشأ فرعاً للحزب في النبطية. حتى نهاية الأربعينيات، انتشرت القومية والشيوعية بين أساتذة وطلاب مدرسة النبطية الابتدائية ومنها الى أبناء المنطقة. وبعد الوحدة السورية المصرية، انتشر حزب البعث والمد الناصري، ما أنتج حراكاً سياسياً في المدينة كان من بعض أشكاله، التظاهرات الشعبية والنخبوية مطالباً أو لمناصرة القضايا العربية من فلسطين وضد حلف بغداد، إلى تحرير المغرب العربي من الاستعمار. ومع ظهور العمل الفدائي، تحوّلت النبطية الى خط دفاع ثانٍ للمقاومة الفلسطينية لـ«فتح لاند» في العرقوب. مع ذلك، لم تملك القوة الحزبية تأثيراً بين العامة. مرشحو النخب العقائدية رسبوا تكراراً في الدورات النيابية من الخمسينيات حتى الانتخابات الفرعية عام 1974. أبرزهم الشهيد موسى شعيب مرشح حزب البعث العربي الاشتراكي وعادل الصباح وإبراهيم المعلم مرشحا الشيوعي. بعد تحرير المدينة من الاحتلال الإسرائيلي عام 1985، دخلت تحت «الحكم الذاتي» لحركة أمل. بعد أحداث إقليم التفاح، تغلغلت المقاومة بسهولة في نسيج الحاضرة المحاصرة بمواقع العدو من سجد الى الدبشة والشقيف. لم تطوّب النبطية نفسها لنبيه بري كما فعلت سابقاً مع الأسعد والزين وعسيران. ويُنقل عنه في مجالسه بأن لأهل النبطية مزاجاً خاصاً. الحزب لم يفعل أيضاً، لكنه فرض نفسه بالبلديات والمجمعات الدينية ومؤسسات الإمداد والجرحى والشهيد. خرق الحزب بلدية النبطية في 1998 قبل أن يستحوذ عليها في 2004 ولا يزال. نيابياً، كان الفارق يزداد بين أصوات نائب حزب الله محمد رعد (منذ 1992) ونواب الحركة. في 2018، نال رعد حوالي 44 ألف صوت تفضيلي في مقابل حوالي 21 ألفاً لقبيسي وحوالي 8 آلاف لجابر.

قبيل الانتخابات المقبلة، يروّج البعض للمقاطعة كحالة اعتراضية ليس على التمثيل السياسي فقط، وإنما على الواقع الاجتماعي والثقافي للمدينة التي صارت ترفض الآخر، كالحملة التي شنت ضد رفع نصب لشهيد الحزب الشيوعي سهيل حمورة الذي سقط في انتفاضة عاشوراء ضد الاحتلال الإسرائيلي عام 1983. بقي الإقطاع في «النباطية»، كما ترد في رسائل جبل عامل، وذهبت المقاهي ودور السينما والمسارح والأندية الثقافية. حتى «سوق الاثنين» الباقي منذ عهد المماليك، بات محلياً.

معايير «سوا» لدعم المرشحين: الموقف من السلاح والعلاقة بالثورة والخليج!

عبد الله قمح

في 31 آذار الماضي، أطلق بهاء رفيق الحريري «مشروعه السياسي» في «احتفال مركزي» أقامته حركة «سوا للبنان» في «فوروم دي بيروت». بعيداً عن كلام الحريري عن «التغيير» و«المشروع الوطني» وتأكيده أن مشروعه ليس انتخابياً ينتهي بعد إغلاق صناديق الاقتراع، فإن إطلالته أتت قبل شهر ونصف شهر من موعد الاستحقاق، فيما احتل مرشحون معظم مقاعد الصف الأول.

وكانت مصادر «سوا» قد أكّدت سابقاً انكفاء الحركة عن الترشح، مع دعوتها الى التصويت بكثافة ونيتها دعم مرشحين «تغييريين» في عدد من المناطق. وغزي ذلك إلى تعاطف الشارع السني مع سعد الحريري ورفضه تقبّل بهاء خلفاً لشقيقه، ما لم يبقَ أمام بهاء خيار سوى العدول عن خوض المعركة بمرشحين مباشرين ودعم مرشحين مستقلين، بالتزامن مع الانصراف إلى «ماسسة» الحركة وتشكيل «مجلس أمناء» من 40 عضواً من كل المناطق ومختلف الاختصاصات، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمن والدفاع والتربية والصحة والقانون. وتضع «سوا» على عاتق هذا الجسم إنجاز خطط عملها حتى عام 2026، واختيار المرشحين الذين سيصار إلى دعمهم في استحقاق أيار المقبل. ومن مهام المجلس حين ينتهي تشكيله انتخاب رئيس للحركة.

ومع إقفال باب تشكيل اللوائح، تبيّن أن «سوا» لم تكتف بدعم مرشحين مستقلين، بل عملت على ضم منضوين فيها ومحسوبين عليها إلى لوائح في أكثر من منطقة. ففي بيروت الثانية، تُحسب لائحة «لتبقى بيروت» على بهاء الحريري، وخصوصاً المرشح نقولا سابا، محافظ بيروت السابق، والرئيس التنفيذي حالياً لمؤسسة «دوح» التي ترأسها حسناء بهاء الحريري، إحدى المؤسسات التي يعتمد عليها الحريري لتقديم المساعدات.

وتدعم «سوا» في «الشمال الثالثة» مستشارها القانوني المحامي مجد بطرس حرب، وفي دائرة جبل لبنان الأولى (كسروان ـ جبيل) مستشارها الطبي مدير مستشفى سان جوان ـ جونية سليم الهاني المرشّح على لائحة «#التغيير» غير المكتملة، والمرشحة رنا الطويل على لائحة «صوت التغيير» في الجنوب الأولى (صيدا ـ جزين).

مصادر في «سوا» أكدت أن الحركة «اعتمدت معايير واضحة لدعم المرشحين» وهي تستند إلى وضعية الضنية) تدعم «سوا» فادي الخير (المنية) وباسل الأسطة (طرابلس) المرشّحَين على لائحة «الاستقرار والإنماء»، وفي «الشمال الأولى» مرشح الجامعة المرعبية على لائحة «نهوض عكار» وسيم المرعبي. وفي دائرة البقاع الأولى (زحلة)، تدعم الحركة المرشح عن المقعد السني رضا الميس على لائحة «#التغيير» غير المكتملة، والمرشحة رنا الطويل على لائحة «صوت التغيير» في الجنوب الأولى (صيدا ـ جزين).

مصادر في «سوا» أكدت أن الحركة «اعتمدت معايير واضحة لدعم المرشحين» وهي تستند إلى وضعية كل مرشّح في بيئته ومدى حضوره وتأثيره والتزامه «المفاهيم السيادية» كـ«قربه من الثورة وموقفه من سلاح حزب الله وعلاقته مع أطراف معادية للخليج»! طبقاً لهذه المعايير، ستساعد الحركة المرشحين في تأمين المستلزمات اللوجستية وتسويقهم في البيئات التي تؤكّد أن لها تأثيراً فيها. فيما ستتعد في مناطق أخرى إلى «تجيير ما نمتلكه من وزن» في خدمة «التغييريين»، كالتصويت للائحة بولا يعقوبيان في بيروت الأولى، ولائحة «توحّدنا للتغيير» في دائرة الشوف ـ عاليه (تضم مارك ضو وغادة عيد وحليمة قعقور).

مقالة

بعد الانتخابات... متى تُعتبر الحكومة مستقيلة؟

جهاد إسماعيل *

انسجاماً مع مقتضيات النظام البرلماني عموماً، ومع مبدأ «التعاون بين السلطات» الوارد في مقدمة الدستور خصوصاً، أشارت المادة 69 من الدستور اللبناني إلى مجموعة من الحالات التي تؤول إلى اعتبار الحكومة مستقيلة (عند وفاة أو استقالة رئيسها، عند بدء ولاية رئيس الجمهورية، عند بدء ولاية مجلس النواب...). ما يحتّم، نظرياً، العودة إلى مدة ولاية المجلس، لمعرفة تاريخ اعتبار حكومة الرئيس نجيب ميقاتي مستقيلة دستورياً، وإن اختلف البعض في تكييف هذه المسألة، انطلاقاً من التفسير الحرفي للنصوص القانونية، من دون أن يحجب هذا الأمر الحقيقة الواردة في مقاصد النصوص نفسها، عبر النقاط التالية:

- يرى البعض أن مدة الأربع سنوات، المحددة في قانون الانتخاب، تبدأ من تاريخ إعلان النتيجة الكاملة لجميع الدوائر الانتخابية لا من اجتماع المجلس الجديد. ويمكن، بحسب هذا التحليل، اعتبار الحكومة مستقيلة من تاريخ إعلان النتائج، ما يناقض، برأينا، مضمون النصّ الواضح في المادة 69 من الدستور بشأن اعتبار الحكومة مستقيلة عند بدء ولاية مجلس النواب تحديداً لا عند انتخاب المجلس الجديد وإعلان النتائج. لا سيّما أن ولاية المجلس الحالي، بحسب المادة 41 من قانون الانتخاب (2017/44 وتعديلاته في تشرين 2021)، تنتهي في 21 أيار 2022، أيّ بعد ستة أيام من تاريخ انتخاب المجلس الجديد، والقول على خلاف ذلك، يعني التفافاً واضحاً على النصوص.

- تنصّ المادة 13 من النظام الداخلي لمجلس النواب على أن «المنتخَب يعتبر نائباً ويمارس جميع حقوق النيابة منذ إعلان نتيجة الانتخاب في دائرته»، وهو نصٌّ استند إليه البعض في اعتبار ولاية المجلس الجديد سارية منذ إعلان النتيجة الانتخابية. إلّا أن هذا التفسير لا يتسق مع المادة 41 من قانون الانتخاب، على اعتبار أن المادة 13 عنيت بالنائب بمفرده لا بالمجلس النيابي بمجمله الذي بمقدوره الاستمرار في التشريع إلى حين انتهاء ولايته، علاوةً على أن هذه المادة أشارت إلى حقوق النيابة (تعويضات، حصانة...) لا إلى صلاحية النيابة التشريعية والرقابية المعلّقة إلى حين انتهاء ولاية المجلس الحالي، وإلا لو كان الأمر على خلاف هذا التفسير، لاعتبر المشرّع، في قانون الانتخاب، تاريخ انتخاب المجلس الجديد محطّة لانتهاء ولاية المجلس السابق.

- ما يعزّز رأينا من دلائل، هو أن المادة 55 من الدستور تدعو هيئة مكتب المجلس، عند لجوء السلطة التنفيذية إلى حلّ مجلس النواب قبل انتهاء عهد النيابة، إلى تصريف الأعمال حتى انتخاب مجلس جديد. فلو أراد المشرّع اعتبار «ستة أيام» الفاصلة بين انتخاب المجلس الجديد وانتهاء ولاية المجلس الحالي في 21 أيار، بحُكم تصريف الأعمال المُوجب لإعمال صلاحية هيئة المكتب من دون سواها، لكان قد ذكر ذلك صراحةً قياساً على المادة 55 من الدستور.

وبناءً عليه، تستطيع الحكومة العمل، كهيئة مكتملة الأوصاف الدستورية، حتى تاريخ انتهاء ولاية المجلس الحالي، وتحديداً في 21 أيار، أيّ بعد انتخاب المجلس الجديد، وبإمكانها الانعقاد وإصدار المراسيم ما دامت ولاية المجلس النيابي قائمة وسارية، تبعاً لصراحة نصّي المادة 69 من الدستور، والمادة 41 من قانون الانتخاب.

* كاتب وباحث في القانون الدستوري، أستاذ الأعمال التطبيقية في القانون الدستوري في الجامعة الإسلامية

إعلان «عكّار أولاً» معركة وادي خالد تبدأ من معبر البقيعة

نجلة حمود

«ويك إند» انتخابي بامتياز شهدته عكار أمس، خصوصاً منطقة وادي خالد الحَزَان البشري للمحافظة (نحو 21 ألف ناخب). إلى معبر البقيعة الشرعي، سلكت سيارات مرشحي «عكّار أولاً» الطرقات المتعرجة التي تبدو وكأنها شُقت بحكم الضرورة، يوم كان وادي خالد يمثل سوقاً تجارية حرة نظراً للحدود المفتوحة مع سوريا والتبادل التجاري الهائل. إعلان اللائحة تم من منزل النائب السابق محمد يحيى، قرب المعبر الذي بات ممراً إلزامياً للدخول إلى سوريا والخروج منها بعد إقفال المعابر الترابية.

من على الحدود اللبنانية - السورية أعلنت «عكار أولاً» التي يترأسها يحيى، متحالفاً مع التيار الوطني الحر والحزب السوري القومي الاجتماعي ومرشحين مستقلين، وهي تضم يحيى وحاتم سعد الدين وكرم الضاهر عن المقاعد السنية، النائب أسعد درغام وشكيب عبود عن المقعدين الأرثوذكسيين، جيمي جبور (ماروني) وحيدر عيسى (علوي).

ويمني يحيى النفس بحصد عدد من الأصوات التفضيلية تفوق الرقم الذي حققه في العام 2018 (نحو 8400 صوت تفضيلي) ما يكرسه وجيهاً للعشائر العربية في المنطقة، خصوصاً أنه يتحصن بالعلاقة مع سوريا ويستند إلى الخدمات التي اشتهر وشقيقه «أبو علاء» في الوادي. إذ إن «كل المنطقة الحدودية تعرف أبو علاء وتردد اسمه»، يقول أحد الوافدين إلى دارة يحيى، مشيراً إلى أن «هدف أبناء الوادي اليوم تأمين احتياجاتهم والعيش بكرامة والوجهة دوماً سورياً للاستفادة من فارق الأسعار».

وللاستحقاق الانتخابي في وادي خالد خصوصية تختلف عن بقية المناطق، حيث يشكل رابط الدم أساس التنظيم السياسي، والأصل هو الحفاظ على الوحدة العشائرية وعدم تفككها. لذلك يعمل يحيى جاهداً على استقطاب العشائر العربية للتفوق على زميله في اللائحة المنافسة (نواب المستقبل) النائب محمد سليمان الذي نال في 2018 نحو 15 ألف صوت تفضيلي.

> طلال المرعبي يغطي القوات سنياً ونجله طارق يلتزم قرار الحريري

في المقابل، حرص حزب القوات اللبنانية على إطلاق اللائحة التي يدعمها من دارة النائب السابق طلال المرعبي للحصول على الغطاء السني وضمان الرافعة التي يفترض أن يشكلها المرعبي مستخدماً تاريخ العائلة وإرثه في العمل السياسي، في حين بدا نجله النائب طارق المرعبي غير معني بحملة والده، واعلن في بيان رسمي التزامه بتوجيهات الرئيس الحريري لجهة المقاطعة. فيما تعرضت اللائحة لحملة على مواقع التواصل الاجتماعي من قبل جمهور المستقبل ومؤيدي الحريري.

حملة على «لوائح الاعتراض» في صيدا

انتشرت حملة على مواقع التواصل الاجتماعي ومجموعات الأخبار الهاتفية ضدّ عدد من لوائح الاعتراض التي تتنافس للانتخابات النيابية المقبلة. وركّزت الحملة على اتهام كل لائحة بتبعيّتها لحزب أو مكوّن من السلطة، من بهاء رفيق الحريري الى الرئيس فؤاد السنيورة. فيما اتهمت

إحدى اللوائح المدعومة من حركة «مواطنون ومواطنات في دولة» بعلاقتها بالسرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي التابعة لحزب الله. وأصدرت السرايا بياناً أكدت فيه أنه «ليس لها أي علاقة أو صلة بأيّ شكل من الأشكال باللائحة وأنها لم تصدر أيّ بيان بدعم أيٍّ من اللوائح الانتخابية».

الجنوب الثالثة: لائحة واحدة لـ«التغييريين»؟

أعلن المرشح عن المقعد السني في حاصبيا ـ مرجعيون رياض عيسى انسحابه من الانتخابات بعد أيام على التحاقه بلائحة «صوت الجنوب» غير المكتملة في دائرة الجنوب الثالثة، لمصلحة لائحة «معاً نحو التغيير»، وقد زاره عدد من أعضائها ومن الناشطين في ماكينتها في بلدته الهبارية. وكان عيسى قد التحق بـ«صوت الجنوب» بعد استبعاده عن «معاً نحو التغيير». مؤسس «صوت الجنوب» المرشح عن المقعد الشيعي عباس شرف الدين أكّد أن انسحاب عيسى لا يؤثر على قانونية اللائحة المؤلفة في الأساس من خمسة مرشحين من أصل 11 لأن مهلة الانسحاب انتهت. مع ذلك، يعلّق مناصرو «معاً نحو التغيير»، المدعومة من الحزب الشيوعي اللبناني ومجموعات «17 تشرين» و«ممفد» أهمية على فرط لائحة المعارضة الثانية لتوحيد الصوت المعارض كي لا يتشتّت كما حصل في هذه الدائرة في انتخابات 2018.

على الغلاف

موظّفو القطاع العام: ضحايا كلّ الأزمنة؟

لا يختلف اثنان على أنّ موظفي القطاع العام هم الفئة الأكثر تضرّراً من الأزمة الاقتصادية الحالية بين اللبنانيّين. وداخل هذا القطاع، تتقدّم كلّ فئة نفسها على أنّها «الأكثر تضرّراً». وإن كان الدخول في تفاصيل الحياة اليومية للشريحة الأكبر منهم يرسم سيناريو واحد عن همّ معيشي يبدأ بتأمين الطعام والشراب، ولا ينتهي عند تأمين بدل فاتورة اشتراك الكهرباء. وبينهما همّ تحصيل الراتب من المصرف، وانتظار المساعدات الهزيلة، وتحمّل الألم المرض، والاستغناء عن السيارة... أما الحلّ: البحث عن عمل إضافي أو التفكير في الهرب من الخدمة. لطالما كان موظفو القطاع العام ضحية النظام السائد: في زمن الرّخاء يُمسيك بهم زبائنيّاً فيُخضعهم، وفي زمن الشدّة يتركهم لمصيرهم فيكونون أوّل الخاسرين

أستاذ التعليم الرسمي يعدّ الأيام لينتهي الشهر

فوّاد بزي

يتقاضى أساتذة التعليم الرسمي، بمختلف فئاتهم وتسمياتهم، رواتب ثابتة نعم، ولكنها عبارة عن ورق مطبوع على سعر الصرف الرسمي، بينما يعيشون تفاصيل حياتهم اليومية على سعر صرف السوق السوداء. تسحقهم الأزمة مع مرور الأيام وهم ليسوا كباقي موظفي الإدارة العامة يلتحقون بالدوام ليوم أو اثنين أسبوعياً، لا، بل عليهم التواجد يومياً في مراكز عملهم (أربعة أيام أسبوعياً خلال العام الدراسي الجاري)، كلّما ارتفع صوتهم بالمطالبة وُضعوا بين مطرقة العيش الكريم وسندان حقوق التلامذة في المدارس الرسمية، والدليل الأبرز على ذلك إضرابهم قبل بداية العام الدراسي حيث صوّتت جمعيّاتهم العمومية إلكترونيّاً

> **راتب أستاذ الكيمياء في السوبرماركت يساوي ثلاث مرات راتبه في التعليم**

للمرة الأولى ضد العودة، وأعادوا التأكيد على النتيجة التي لم تُعجب قيادة الرابطة السّابقة ومن خلفها، في جمعيات عمومية حضورية أنهم لا زالوا غير مقتنعين بالعودة ففُتحت الثانويات بعصا الأحزاب (كلّ الأحزاب) السّحرية وحُمّلوا مسؤولية هجرة التلامذة من المدارس وإنهاء التعليم الرسمي إذا استمرّ الإضراب، ومنذ ذلك الحين يعيشون على الفتات والوعود والبيانات.

فتات وزارة التربية

كانت الوزارة قد أعلنت عن قدرتها على صرف منح اجتماعية استثنائية لكلّ موظفيها (إداريين ومعلمين) قيمتها 890$، لا أحد يعرف السّر خلف هذا الرقم، فبدأ الأخذ والردّ حول طريقة الدفع والعملة التي ستُصرف على أساسها المبالغ، فكانت الليرة اللبنانية على سعر منصة صيرفة وهنا بدأت عجلات البيروقراطية اللبنانية المعروفة بالدوران فأعادت الوزارة الطلب من الأساتذة إرسال أرقام هوياتهم البنكية iban وكأنّهم دخلوا الوظيفة العامة اليوم، وأعيد التدقيق بها مراراً وتكراراً وصولاً إلى اليوم المنشود، يوم صرف المنحة، ففوجئ الأساتذة بصفوف لا تنتهي أمام الصرّافات الآلية تارةً وسقوف للسحوبات تارةً أخرى، وحتّى من جرّب أن ينزل بها إلى السوبرماركت لم يستطع الاستفادة مع وضع الأخيرة شرط الدفع 50% عبر البطاقة المصرفية و50% كاش، وحتى اليوم هناك أساتذة لم تحصل على أيّ دفعة من هذه المنحة بالإضافة لعدم انتظام في الصرف. أما أنصاف الرواتب لكلّ الموظفين فحُصرت عن شهرَيْ تشرين الثاني وكانون الأول من عام 2021 خلال شهر آذار الحالي، بعدما استعمل المرسوم الخاص بها كورقة ضغط بيد رئيس الجمهورية كي يعود مجلس الوزراء إلى الانعقاد.

صورة الأستاذ؟

هناك في مخيّلة البعض صورة وردية عن الأساتذة ومجتمعهم الضيّق، ترسيمهم على أنّهم نخبة المجتمع المؤثّرة والقادرة على فرض التغيير وحتى يتخيّل البعض أنّهم قادرون على قلب الطاولة في أيّ انتخابات قادمة نسبة إلى المعاناة التي يمرّون بها اليوم، ولكن ما لا يعرفونه أنّهم، بحسب سارة الأستاذة في التعليم الثانوي، يحاولون البقاء على قيد الحياة فقط. فهي تتقاضى اليوم مبلغاً لا يتجاوز الثلاثة ملايين ليرة ويتوجّب عليها دفع فواتير شهرية أساسية مثل بدل الاشتراك الكهربائي بمولّد الحي الذي وصلت قيمته هذا الشهر إلى مليونين وستمائة ألف ليرة «لقد نفد الراتب، لم يعد يكفيني للوصول إلى مكان عملي».

معاناة التنقّل هذه تتضاعف في المناطق (الجنوب أو البقاع) حيث المسافات الفاصلة بين منازل الأساتذة ومراكز العمل أكبر بكثير، ولا مواصلات عامة فعّالة يمكن الاتّكال عليها، ولحلّ هذه المشكلة قامت وزارة التربية هذا العام بفتح المجال أمام الأساتذة للانتقال إلى مدارس وثانويات أقرب إلى منازلهم مع ترك المعيّنين أخيراً بالمرسومَين 6006 و4342 معلّقين في ثانوياتهم البعيدة ليوم واحد أو اثنين كون القانون لا يسمح لهم بالانتقال الكلّي قبل مرور خمسة سنوات على الإلحاق.

أما حسين، أستاذ الكيمياء في إحدى ثانويات الضاحية فيسخر من فكرة الأستاذ الأستاذ التي درس طويلاً عنها في كليّة التربية وهو يعمل اليوم بعد الدوام التعليمي في إحدى التعاونيات بصفة محاسب على الصندوق. يعترف بأنه حاول الحفاظ على هذه الصورة: «فتّشت عن فرصة عمل ثانية بعيداً عن منزلي ومحيط سكن التلامذة كي لا يرانـي أحد رغم أنّ المنتفعة لا تكمن في نوعية العمل بل في عدم قدرتي على تأمين الحليب لابني الذي لم يتجاوز عمره الأشهر الستة»، لافتاً إلى أنّ راتبه في التعاونية يساوي ثلاث مرات راتبه في التعليم.

الكابوس الصحي

أما الكابوس الذي يقضّ مضاجع الأساتذة اليوم فهو الحاجة إلى دواء أو استشفاء أو حتى زيارة عيادة طبيب، سابقاً كانت الجهات الضامنة قادرة على تغطيتهم بشكل جيّد أما اليوم فهذه الجهات حالها كحال الدولة في انهيار تام. تروي لنا أستاذة رفضت الكشف عن اسمها أنّها تعرّضت في بداية العام الدراسي لعدوى كورونا أجبرتها على دخول المستشفى وكانت تكاليف العلاج عن كلّ يوم تساوي راتبها الشهري فطلبت الخروج قبل التعافي النهائي كي لا تضطر للاستدانة أكثر.

اليوم يقوم الأساتذة بالضرب من لحمهم الحي، وهم لا يأخذون بدل أتعاب أبداً بل يصرفون على الوظيفة العامة فحتى الموازنات التشغيلية للثانويات إما محتجزة في المصارف أو لا تكفي، ففي إحدى ثانويات منطقة الضاحية الجنوبية لبيروت كان التعليم يتوقّف خلال الأيام الماطرة عند انقطاع الكهرباء بسبب الغياب الكلّي للإنارة فيما يقوم الأساتذة بشراء حاجتهم من الأقلام والقرطاسية، وأكثر ما يفاجئ هو طلب وزارة التربية المستمرّ إمدادها بعلامات الامتحانات رغم عدم وجود أوراق أو حبر للتصوير. يبدو أنّ الهدف من التعليم لم يعُد بناء الجيل الصاعد المفكّر الناقد المبدع أو المشاركة الفاعلة في الشأن العام، بل تمرير الأيام وانتظار شيء ما، أين هي جودة التعليم والمعلّم يفكّر في وسيلة للوصول إلى نهاية الشهر وليس في وسيلة تعليم ناجحة؟

يتخيّله البعض أهم قادرون على قلب الطاولة في أيّ انتخابات قادمة (مروان بو حيدر)

بورتريه

علي فارس دفاعاً عن الجامعة اللبنانية: «استويت»!

فاتن الحاج

على طريق بعبدا قبل أيام، لم يتحمّل علي فارس، الأستاذ المتعاقد بالساعة في الجامعة اللبنانية، أن يصرخ العسكري في وجهه أو «يدفش» إحدى زميلاته. في لحظة المواجهة تلك، عزّت عليه الدنيا وودّ لو يطلق النار في صدره. «انجرحت» من المشهد، يقول، «وبالأخصّ من الاستغلال السياسي لوجع الأساتذة. وقفتنا هناك لم تكن ضدّ عمر أو زيد، إنّما كانت لحماية جامعة الفقراء، وكرامة طلابها، وأنا منهم، إذ لولا الجامعة اللبنانية لما تعلّمت ولما نلتُ الدكتوراه ولما كنت هنا أطالب بحقوقها ربما».

لا يتردّد فارس في الكشف عن ظروف حياتية صعبة كوّنت وعيه في رفض الظلم «نشأت في بيت فقير. أبي وأمي فلاحان لا يجيدان القراءة والكتابة، لكنّ فضلهما في تعليمي كان كبيراً، ومنذ صغري، أخذت على عاتقي مساعدتهما وترتيب على مقولة: ما في خير بأهلو ما في خير ببلدو. لم أترك مصلحة لم أعمل فيها، زراعة التبغ، ومخلّفات أشكال التجارة الخفيفة».

تلقّى فارس علومه في مدارس وثانويات رسمية والجامعة اللبنانية قبل أن يسافر إلى الخارج حيث نال الدكتوراه في الرياضيات البحتة. مع الدراسة، عمل في مطاعم ودرّس في «ليسيهات» فرنسيّة لتحصيل «خرجيّته»، ثم عاد إلى بلده ليدرّس في جامعات خاصة.

«كرمال أهلي ما بدي كون برا»، كان هذا خيار أستاذ الرياضيات الذي نال جنسية أوروبية عام 2008. أحد زملائه الأساتذة نصحه قبل 7 سنوات أن يترك البلد، فهو يحمل جنسية أجنبية ويمكن أن يجد بسهولة عملاً يوفّر له مستقبلاً مستقراً وآمناً، لكنه رفض، إذ لديه مسؤوليات تجاه أهله «أبي ثمانيني ومريض وحضوري معه ضروري».

كانت الجامعة خياره الأول والأخير منذ أن تعاقد مع كلية العلوم عامَي 2009 . 2010 «فليُراجعوا ملفّاتي ونصابي الذي لم ينخفض عن 500 ساعة في السنة». يوم أقرّ ملّف التفرّغ عام 2014، كانت مرّت 5 سنوات على تعاقد فارس مع كلية العلوم، وكان اسمه مدرجاً على لائحة المرشّحين، إلّا أنه شُطب عنوة في اللّحظة الأخيرة. بقي في لبنان ورفض السفر. لكنه ثار على الظلم مع مجموعة من زملائه الـ70 المستثنين من القرار، ورفعوا دعوى أمام مجلس شورى الدولة، بواسطة المحامي زياد بارود. عمّ القضاء بتصفهم، وهكذا كان. إذ ربحوا الدعوى، لكنّ الحكم بقي قيد التنفيذ! يؤلم فارس أن يُستبعد مستحقّون ويتفرّغ أساتذة لم يكونوا قد حصلوا على دكتوراه، وأخذوا فترة استيداع قبل أن يلتحقوا بصفوفهم بعد نيل الشهادة.

يلفت فارس إلى أنّ الدفاع عن الجامعة بات إحدى «عباداته»، هو درس الرياضيات لأنه يعشق المنطق، لكنه لا يرى في كلّ ما يحصل شيئاً من المنطق. بعد كل هذا الظلم، يقول: «استويت، تبهدلت لدرجة بتّ أخسر صحتي. انفجاري في ساحة الاعتصام لم يأتِ من عبث، كنت هناك لحفظ حق ابن الفقير وابن العسكري اللذين لن يجدا ملجأ لهما غير هذه الجامعة، والآن لا أعرف إن كان اسمي موجوداً في قرار التفرّغ الجديد، الله بيعرف».

في السّلك العسكري: العمل الثاني بات إجبارياً!

دانيال شمص

في إحدى ورش البناء، يقف أحد العسكريّين بعدما خلع بزّته وارتدى ملابس العمّال، وهو يقوم بطلاء الجدار. يذهب بالفرشاة يُمنةً ويسرةً وعلامات التّعب تظهر جليّاً على وجهه، يدور ما بين العمّال ببؤس وملل، وفي ملامحه شيء من الإرغام، ويقول لكلّ من يقترب منه: «لعن الله هذا الزّمن الذي أوصلنا إلى هنا!». هذا الزمن الذي أُجبر جنود الجيش على البحث عن عمل ثانٍ بعدما فقدت رواتبهم قيمتها الشرائية وخسروا الكثير من المكتسبات التي كانت تُقدّم إليهم.

في السّابق، كان يُنظر إلى العسكري أنّه حقّق ضمانة فعلية له ولعائلته، أما اليوم فقد تحوّل عمله إلى سجن بات يحتار كيف يهرب منه. يقول أحدهم في مقارنة بين الوضعَين: «كنت أتقاضى مليون ونصف المليون شهريّاً، كان يعادل ألف دولار أميركي، أما اليوم فهو لا يتجاوز حاجز الستّين دولاراً». ويوضح عسكري آخر أنّ الراتب بالكاد يكفي بدل النقل من المنزل إلى مراكز الخدمة ذهاباً وإياباً، مفصّلاً «أحتاج إلى مليون ونصف المليون بدل مواصلات، وخمسمئة ألف ليرة مصروفاً شخصيّاً في العمل، نعم هذا أكثر من راتبي، لذا أعوّل اليوم على عملي الآخر خارج وظيفتي». حتى الحصول على هذا الراتب الهزيل لم يعد سهلاً، إذ لا بدّ من الانتظار أمام المصارف لاستلامه بالدولار عبر الصرّاف الآلي، عسى أن يكونوا من المحظوظين فـ«يربحوا» 200 ألف ليرة إضافية بدل فرق السعر بين منصّة صيرفة وبين السوق السوداء. أما المساعدات، فلم يحصلوا عليها إلا مرة واحدة «100$ أميركي مرة واحدة مع وعود بالجملة لزيادة بدل النقل التي تبلغ قيمتها حالياً 381 ألف ليرة».

بيع المقتنيات

اجتمعت هذه الأسباب، كي تدفع بالعسكريّين إلى إيجاد بدائل لسدّ الحاجات الأساس. فمن كان يملك مركبات آلية (سيّارة، درّاجة ناريّة) باعها. تقول زوجة أحدهم: «اضطررت لبيع جميع أساوري الذّهبيّة، زوجي باع سيّارته أيضاً ولم يبقَ أيّ شيء نستطيع بيعه». ليُصبح الأهل والأقارب سفن النّجاة الأخيرة، «صرنا نذهب يوميّاً إلى منزل أهل زوجي لتناول وجبة الغداء، النّاس في الخارج لا تعرف مدى صعوبة وضعنا، فقد أصبحنا نستحي أن نستقبل الضّيوف لأنه ليس لدينا ما نقدّمه من ضيافة».

رغم ذلك، يستقبلنا أحد العسكريين في منزله، وتخبرنا زوجته «نحن نشتري كيلوغراماً واحداً من اللحم شهرياً ونقسّمه على 10 طبخات، أي نصف أوقيّة للطبخة التي يجب أن تُؤكل على ثلاثة أيّام». زوجة ثانية تبكي كلّما تذكّرت سؤال ابنها الصغير لها «متى سنأكل اللّحم يا ماما؟». أما حليبُ الأطفال فحدّث ولا حرج؛ مجمع الحليب الذي يساوي $15 ولا يكفي لأكثر من أسبوع، أصبح من الكماليّات، فلجأوا إلى أنواع أخرى ذات قيمة غذائيّة متدنية. هكذا أصبح همّهم الوحيد هو الطّعام والشّراب، قبل أن ناتي على ذكر مصاريف الصحة والتعليم التي تقصم الظهور.

عمله آخر

هذا الواقع دفع بالعسكريّين إلى البحث عن عمل آخر خارج السّلك العسكري. من كان يجيدُ حرفةً لجأ إلى العمل بها خارج أوقات الخدمة، ولكنّ أغلبهم ذهبوا إلى الأعمال الأكثر تواضعاً من أجل فتات المال. كثيرون منهم يعملون بالدّهان والباطون والنقل والعتالة ومختلف أنواع الخدمة في المطاعم، ومنهم من يصطحب أولاده للعمل معه: «لم يجد أبي إلّا العتالة عملاً إضافيّاً، وأنا أعمل معه لكي نستطيع أن نؤمّن العشاء لأمي وإخوتي الصّغار». لا يخلو الأمر من استغلال أصحاب العمل لرغبة العسكريين في الحفاظ على سريّة العمل، فيدفعون لهم رواتب أقلّ ممّا يستحقون.

هل تحوّل عمل العسكري إلى سجن يبحث عن الهرب منه؟ (أرشيف)

بدورهنّ، زوجات العسكريين غير العاملات بتن يبحثن عن عمل، ولو بأجور أقلّ من الطّبيعيّة، من أجل المساهمة في سدّ الحاجات الأساسية، فيما تبحث العاملات منهن على عمل خارج البلد للسفر لأن أزواجهنّ عالقون في وظائفهم لا يستطيعون أن يطلبوا التّسريح من الخدمة لأنها تُرفض.

النقمة على السّلك تزيد من قبل العسكريّين يوماً بعد يوم. لم تُدرج زيادات ولا بدل نقل ولا مساعدات اجتماعيّة ما يساعد أبناءه على العيش بكرامة، فالعسكريّون اليوم يعملون في مهن بشكل غير إنساني وغير قانوني من أجل لقمة العيش التي ضاعت من أيديهم بدون أدنى ذنب لهم. أمّا الكلام عن تحسين الأوضاع يبقى استعراضات سياسيّة في حين أنّ هناك سلكٌ يحضنُ عشرات الآف العائلات يُسحقُ ببطء.

نتائج نفسية

أنتجت الظّروف هذه أجواءً سلبيّة ومشكلات عائلية زوجيّة، تقول المختصّة العلاج النفسي د. باسمة قبيسي «إنّ العسكريين هم ممثلو السّلطة على الأرض، والتّقليل من قدرتهم عبر انعدام المأديات والانهيار المادي يؤدي إلى ضياع وتشتّت نفسي، وفي أسرهم انعكاس سلبي متمثل في زعزعة هرميّة المنزل». أمّا من لم يتزوّج فعليه - بإجماع العسكريّين- أن ينسى الفكرة من الأساس، لأنّ الأمر أصبح أكثر من مستحيل.

قوى الأمن الداخلي بلا أمان اجتماعي

فانيسا مرعي

ضبّاط أو عناصر، لم تفرّق الأزمة الاقتصاديّة بين الرتب العسكرية، فمصائب البلد حلّت عليهم جميعاً من دون تمييز وباتت قيمة رواتبهم شبه معدومة لا تمكّنهم من تأمين أدنى متطلبات الحياة الأساسيّة «شفـ»، «عبـ» و«سبـ»، حروف أولى لأسماء عناصر في قوى الأمن طالعتنا أخبار انتحارهم، في ثلاث مناطق مختلفة في لبنان، في الشهور الأخيرة. خسرتهم عوائلهم والمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي وخسرهم الوطن في خلال السنتَين الأخيرتين. قد يكون الضغط المعيشي أحد الأسباب التي دفعتهم إلى إنهاء حياتهم، ورغم أنها فرضية، لكنها ليست بعيدة عن الواقع لأنّ «الموت» قد يكون معنوياً أحياناً، كما يعبّر القسم الأكبر من ضباط وعناصر قوى الأمن حالياً بسبب شعورهم بالعجز المادي تجاه عائلاتهم، أو بالإحباط تجاه مستقبلهم. منهم من وجد في الفرار من الخدمة سبيلاً وأمل في تحسّن وضعه.

مساعدات هزيلة

صحيح أنّ الأزمة الاقتصادية مسّت حياة مختلف الأسلاك العسكرية، لكن يعتبر أفراد قوى الأمن الداخلي أنهم ينتمون إلى السلك الأكثر تضرّراً منها. يقول أحد العناصر: «منذ بداية الأزمة، ووضعنا يتّجه إلى الوراء ولا من يكترث بحالتنا، ففي حين يُؤمّن الدعم المادي لأفراد الأسلاك الأخرى، بالكاد يصلنا كقوى أمن بعض المساعدات المادية والغذائية كلّ بضعة أشهر». ويفنّد العنصر المواد الغذائية التي وصلته كمساعدة وهي عبارة عن معلّبات متنوّعة، سكّر وأرز، لكنّها لا تكفي عائلة لمدّة شهر. ورغم أنّ أفراد قوى الأمن تلقّوا مساعدات مالية على دفعتَين خلال العام الحالي وسيقتهما دفعتان في خلال الأشهر الأخيرة من العام الماضي إلّا أنها تبقى غير كافية.

لذا يبحث معظمهم، لا بل ربّما جميعهم، عن عمل ثانٍ للتمكّن من الاستمرار. «الراتب أصبح يكفي فقط للتوجّه إلى الخدمة والعودة منها وتناول الطعام خلالها»، وفق ما يُشير ربيع. ويُضيف «أتوجّه بباص النقل العام إلى الخدمة، وأدفع يومياً 40 ألف ليرة مواصلات ذهاباً وإياباً، فماذا يبقى من راتبي؟ أشعر بأنني عاطل من العمل».

بالنسبة إلى فادي، الذي يتوجّه إلى الخدمة بواسطة الباص الخاص بقوى الأمن، يؤكد بدوره أنّه «على الرغم من ذلك، أدفع كلّ راتبي الذي يبلغ مليون وخمسمئة ألف ليرة بدل اشتراك الكهرباء».

الطبابة

تدنّي مستوى المعيشة شمل تراجع التقديمات الطبيّة ما شكّل عائقاً أمام دخولهم إلى المستشفى في حال الحاجة إلى ذلك. هذا الأمر نبّهت إليه نقابة أصحاب المستشفيات، في بداية العام الحالي، في بيان جاء فيه أنّ «معظم المستشفيات بات يتجنّب قبول عناصر قوى الأمن الداخلي أخيراً بسبب عدم تسديد المستحقات المتوجّبة عن طبابتهم من جهة، وتدنّي التعرفات المعتمدة من قبل المديرية من جهة ثانية».

وفي السّياق، يلفت ربيع، وهو أب لولدين، إلى التكاليف التي تكبّدها لعلاج ابنه الصغير بعد إصابته بفيروس، «دفعت راتبي بأكمله على تعرفة معاينة الطبيب لابني والأدوية اللازمة له، وبالتالي اضطررت إلى تجنّب الذهاب إلى العيادة مرّة أخرى لأنّه لم يعد بإمكاني دفع أيّ مبلغ قد يتوجّب عليّ». ويُضيف: «على الرغم من أنه باستطاعتي تقديم الفواتير إلى طبابة قوى الأمن لكنّ المبلغ الذي قد استوفيه لن يوازي المبلغ الذي دفعته».

المحروقات

ورغم تخطّي اللّبنانيين في الوقت الراهن أزمة الطوابير على محطات المحروقات، غير أنّ الوضع لم يتغيّر بالنسبة إلى ضبّاط قوى الأمن تحديداً. الضابط وسام يشكو من الذلّ الذي يعيشه على المحطات، «قسم كبير منها لم يعد يقبل «بونات البنزين» التي نحصل عليها من المديرية، فيما القسم الآخر حدّد أياماً وأوقاتاً معيّنة لتعبئة الوقود لسيارتنا وهذا ما يتسبّب لنا بطوابير وساعات من الانتظار». لكنّ حلاً قريباً قد يرى النور مطلع الشهر المقبل إذ يجري الإعداد لقرار يسمح للضبّاط بتعبئة سياراتهم الخاصة بكميّة محدّدة من البنزين من المحطات العسكرية.

المتقاعدون قد يتحزكون على الارض للمطالبة بتحسين اوضاعهم (هيثم الموسوي)

المتقاعدون

المأساة اليوميّة نفسها يعيشها متقاعدو قوى الأمن الذين وصل بهم الوضع المتردّي أخيراً إلى إعلان حال الطوارئ الصحية، إذ يقول العميد المتقاعد بسّام الأيوبي «لم يعد لراتبنا أي قيمة، كما وصلنا إلى مرحلة لم تعد فيها المستشفيات تستقبل مرضانا». يُضيف «تلقّينا وعوداً بتحقيق مطالبنا وتحسين وضعنا، وتحويل 60 مليار ليرة لطبابة قوى الأمن، لكن ذلك لم يتحقّق حتى اليوم». لذلك، أكّد أنّ «تجمّع متقاعدي قوى الأمن سيستكمل تحرّكاته على الأرض حتّى تلبية المطالب».

فلسطين

خصّص جيش الاحتلال آليات إسناد احتياطية عند حواجز محيطة بمدينة جنين (أ ف ب)

دفع جيش العدو الإسرائيلي بعشرات الجنود والآليات العسكرية، لاقتحام منزل عائلة الشهيد رعد خازم، منفّذ عملية تل أبيب، ليفاجئ بمقاومة شديدة، نتج منها استشهاد احمد السعدي، وإصابة آخرين. ويبدو أن يقظة جنين، بدأت تنسحب على عموم الضفة الغربية المحتلة، وهو ما تجلّى بخروج مسيرات ووقفات احتجاجية في محافظاتها، نصرةً لجنين ومخيّمها

الضفة تؤازر جنين: «عش الدبابير» ليس يتيماً

جنين - الأخبار

حاول العدو إحداث مفاجأة باقتحامه منزل عائلة الشهيد رعد خازم، منفّذ عملية تل أبيب، في الصباح الباكر، ليفاجئ جنوده الذين حضروا على متن عشرات الآليات بمقاومة شديدة من جانب مقاومي مخيم جنين، نتج منها استشهاد أحمد السعدي، وإصابة نحو 15 آخرين. ويبدو أن الضفة الغربية نهضت أخيراً لتساند جنين بعد استشهاد السعدي، وهو ما عبّر عنه الالتفاف الشعبي الواسع في عموم محافظاتها، والذي تزامن مع انطلاق حملة شعبية للتلاحم، والتأكيد على الوحدة بهدف التصدّي للعقوبات الجماعية الإسرائيلية المفروضة على جنين.

وإلى عشرات الآليات، خصّص جيش الاحتلال آليات إسناد احتياطية عند حواجز محيطة بمدينة جنين. وتحت غطاء طائرة استطلاع، وقوة خاصة ترتدي زيّاً مدنياً، بدأ الاقتحام بنشر القناصة على أسطح عدّة مبانٍ وداخل الطوابق العلوية من منازل أخرى، لتندفع آلياته إلى أطراف المخيم، حيث منزل عائلة الشهيد رعد. «كانت حرب شوارع حقيقية. الجميع رأى المقاطع المصوّرة للمقاومين في الشوارع، في مشاهد تعيد إلى الأذهان اجتياحات المدن في الانتفاضة الثانية. كانت أشبه بمعركة 2002، ولكن مصغّرة»، يقول أحد المقاومين من «كتيبة جنين»، لـ«الأخبار». ويضيف: «عندما وصل الخبر، جرى التعميم على مجاهدي كتيبة جنين بالنزول فوراً للتصدّي للاقتحام الإسرائيلي. وخلال دقائق، كانت عدّة مجموعات من المقاومين تتوزّع داخل المخيم، وفي المناطق التي لم يشملها الاقتحام، خشية أن يكون اقتحاماً واسعاً لكل المخيّم، وتحسّباً لوجود قوات خاصة إسرائيلية برزيّ مدني». وتخلّل الاشتباكات المسلحة تفجير عبوات ناسفة مصنّعة محلياً ألقيت على الآليات العسكرية، إضافةً إلى إطلاق النار في اتجاه قنّاصة جيش العدو وجنوده. وعلى رغم أن «مقاومي كتيبة جنين لم يتلقّوا تدريبات احترافية، لكنهم تدرّبوا في الميدان مثل غيرهم ممّن سبقوهم من المقاومين الفلسطينيين. وفي الاقتحام، أصبح هؤلاء يدركون خطر القنّاصة، وغالبيتهم يطلقون النار من وراء ساتر أو جدار، ولا يسيرون في المناطق المكشوفة أو غير الآمنة... نحن نتعلّم بالتجربة ومن أخطائنا»، وفق أحد مقاومي الكتيبة. وفي هذا الإطار، يكشف مصدر، لـ«الأخبار»، أن عدد مقاومي الكتيبة المطلوبين لجيش العدو والسلطة الفلسطينية، بلغ نحو 35. وخلال اشتباكات صباح أمس، استشهد أحمد ناصر السعدي

> **شهدت ليلة التاسع من رمضان أوسع مسيرات إسناد لجنين ومخيمها**

وأصيب نحو 15 آخرين، فيما أعتُقل ثلاثة فلسطينيين من المخيم، أحدهم نور الدين الجربوع الذي أصيب بعدّة رصاصات واقتيد من مركبة الإسعاف، علماً أن الجربوع أسير محرَّر ومقاوم في «كتيبة جنين» في «سرايا القدس»، اعتقلته السلطة الفلسطينية في سجن أريحا لمدّة شهرين، وأفرجت عنه قبل نحو شهرين. أمّا السعدي (23 سنة)، ويكنّى نفسه بـ«أبو إسلام»، فيعتبر قائداً ميدانياً بارزاً في «كتيبة جنين»، سبق أن أصيب باشتباك مسلّح مع العدو، ويتمتّع بعلاقة مميّزة مع صديقه الشهيد عبدالله الحصري الذي استشهد باشتباك مسلح قبل أسابيع. ويعتبر السعدي من الصفّ الثاني في «الكتيبة»، إذ يضمّ الأوّل الشهيد جميل العموري، والأسير وسام أبو زيد واثنين آخرين. وحول واقعة استشهاده، يوضح أحد مقاومي الكتيبة: «عندما وصل خبر الاقتحام، امتشق أبو إسلام بندقيّته سريعاً وارتدى قبعة صديقه الشهيد عبدالله الحصري واستقلّ مركبة سار فيها بهدوء بعدما سحب أقسام سلاحه وجهّزه للاشتباك، وما إن رصد موقع جنود إسرائيليين حتى أوقف المركبة وترجّل منها سريعاً وفتح النار في اتجاههم، هرب الجنود واحتموا، لكن قنّاصاً إسرائيلياً لم ينتبه له أحد في المكان، قتل أحمد السعدي، ثم تقدّم الجنود واستولوا على بندقية الشهيد».

استشهد أحمد ناصر السعدي وأصيب نحو 15 آخرين (أ ف ب)

في هذا الوقت، تمكّنت وحدات الهندسة التابعة لجيش العدو من تحديد قياسات منزل منفّذ عملية تل أبيب، تمهيداً لهدمه لاحقاً. وفي الإطار ذاته، اقتحمت قوّة كبيرة من الجيش الإسرائيلي بلدة بعيد جنوب جنين، لتبلغ عائلة الشهيد ضياء حمارشة - منفّذ عملية «بني براك» - بقرار هدم منزلها، وهو ما تخلّلته مواجهات وإطلاق مقاومين النار في اتجاه الآليات العسكرية الإسرائيلية. وفي الليلة ذاتها، أصيب 11 فلسطينياً في مواجهات واعتداءات إسرائيلية في الضفة الغربية، ثلاثة منهم في بلدة يعبد، وأربعة في مخيم عقبة جبر في أريحا، وأربعة في طولكرم.

وشهدت ليلة التاسع من رمضان أوسع مسيرات إسناد لجنين ومخيمها، خرجت في عدد كبير من محافظات الضفة الغربية، أبرزها: مسيرة وسط مدينة نابلس، وقفة في طوباس، مسيرة في مخيم الدهيشة في بيت لحم، مسيرة وسط رام الله أعقبتها مواجهات عند مدخل مدينة البيرة، مسيرة في بلدة بيت أمر في الخليل أعقبتها مواجهات أصيب خلالها 4 فلسطينيين برصاص العدو، مسيرة في مخيم بلاطة شرق نابلس، ومسيرة مركبات في الخليل. أما الجامعات الفلسطينية، فشهدت، خلال اليومين الماضيين، سلسلة فعاليات داعمة لجنين، شملت كلاً من: جامعة بيرزيت في رام الله، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، جامعة البوليتكنيك في الخليل، وجامعة الخليل.

إزاء ما تقدَّم، أعلن العدو فرْض عقوبات جماعية بحقّ محافظة جنين، شملت منع وصول فلسطينيي الـ48 إليها عبر حاجزَي الجلمة وريحان، فضلاً عن إغلاق المعابر بشكل كامل أمام الجميع باستثناء العمّال. ويشمل المنع التجّار وكبار رجال الأعمال، وسط منع الزيارات العائلية من جنين إلى الداخل المحتلّ عام 48، ليعقب ذلك إعلان الاحتلال عن منْع عائلات أسرى محافظة جنين من زيارة أبنائهم في السجون. ويرى مراقبون أن إسرائيل تهدف من سلسلة العقوبات الجماعية هذه، إلى «كي الوعي» والضغط على الحاضنة الشعبية الفلسطينية، لدفعها إلى مهاجمة المقاومة ومنفّذي العمليات الفدائية الأخيرة. وردّاً على العقوبات، أطلق فلسطينيون حملة شعبية لمؤازرة جنين، إذ دعا النشطاء كل الفلسطينيين للتوجّه الدائم إلى جنين والتسوّق منها دعماً لأهلها في وجه العدوان. ودعا نشطاء آخرون، العائلات الفلسطينية، إلى التوجه للإفطار في مطاعم جنين، كما أعلنت بلدية سلفيت تسيير حافلة أسبوعية مجانية كل يوم خميس منها، إلى مدينة جنين.

على أن جيش العدو نجح في اقتحام منزل منفّذ عملية تل أبيب، لكنه فشل في اعتقال والد المنفّذ، إذ طالب ضابط استخبارات إسرائيلي، بشكل متكرّر، فتحي خازم، أبو رعد، بضرورة تسليم نفسه، إلّا أن الأب واصل الرفض، قائلاً: «لن أسلّم نفسي بنفسي، تعالوا إلى المخيم واعتقلوني». وتواصلت عمليات إطلاق النار، خلال اليومين الماضيين، أيضاً، حيث أطلق مقاومون النار في اتجاه جيش العدو لدى اقتحامه بلدة يعبد قرب جنين، والقى مقاومون عبوة ناسفة مصنّعة محلياً تجاه حاجز «دوتان» غرب جنين، فيما أطلق آخرون النار على نقطة عسكرية إسرائيلية على قمة جبل جرزيم في نابلس، علماً أنه يوجد في نابلس ثلاثة مطلوبين، أبرزهم إبراهيم النابلسي، وهناك محاولة لمحاكاة ما يحدث في جنين، بعدما أطلقت مجموعة مسلّحة محلية على نفسها، أخيراً، اسم «كتيبة نابلس»، لكن الفرق أنها تتبع لـ«كتائب شهداء الأقصى»، وليس لـ«سرايا القدس»، كما هي الحال في جنين.

ويشي الوضع الميداني بأن معادلة التصعيد قائمة، وهذا ليس بجديد؛ لكن الجديد هو أن الفعل الشعبي على الأرض تصاعد خلال اليومين الماضيين، فيما وضعت الجماهير بصمتها في كثير من الفعاليات التي بدأت تتّسع على غير العادة. وهذه هي المرّة الأولى، منذ أسابيع، التي تخرج فيها مسيرات لنصرة جنين ودعماً لها، في مشاهد تشبه مسيرات مؤازرة غزة خلال معركة «سيف القدس».

اليمن

إزاحة هادي: حين تتملّص الرياض من حربها

يُعرف الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، أنه أصعد إلى المركز الأوّل في اليمن، ليملأ مكانه موقّتاً، فيما حدّد دوره وقف المبادرة الخليجية لإدارة البلاد لمرحلة ما بعد ثورة عام 2011 إلى حين انتخاب رئيس دستوري بعد عامين. لكن هادي الذي توحي هيئته بأنه موظّف من موظّفي المناصب الوسطى وليس رئيساً، ظلّ، على مدى سنوات الحرب الطويلة، حجّة لاستمرارها، إلى أن بات وجوده يشكّل عبئاً على مصالح السعودية التي لم تستطع إيجاد بديل «شرعي» له، يُبقي حجّة حربها قائمة

لقمان عبد الله

لا يمكن فصْل قرارات فجر الخميس التي أقيل بموجبها الرئيس اليمني المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، ونائبه علي محسن الأحمر، وأنيطت جميع صلاحياتهما بمجلس رئاسي مؤلّف من ثمانية أعضاء، عن سياق التطوّرات على مستوى الهدنة الإنسانية والعسكرية المعلنة أخيراً في اليمن، فضلاً عن الأزمة الأوكرانية، والتجاذب في العلاقات الأميركية - السعودية. إلّا أنّ العنصر الحاسم في ما وُصف بـ«الانقلاب الأبيض» على هادي وإجباره على التنحّي والجدل الدائر حول البديل ومن ثمّ نقل صلاحيات الرئيس إلى مجلس رئاسي، يكمن في مفهوم الشرعيّة الذي يُعتبر جوهرياً بالنسبة إلى التحالف السعودي - الإماراتي، كونه علّة الحرب والحجّة الأبرز لاستمرارها على مدى سنوات. تعتقد المملكة أنّ المسرحية التي أقدمت عليها ستوفّر لها الحجّة للّتأي بنفسها عن الحرب، وأنّ الخطوة المذكورة هي من ضمن الإجراءات المهّدة لوقف إطلاق النار وإحلال السلام، وأنه بإزالة هادي - رمز هذه الحرب - يزول أحد أهمّ أسبابها بعدما كان وجوده على رأس ما يسمّى «الشرعية»، المشرّع لها، والمحرّض على استمرارها، وأنّ من شأن تلك الإجراءات أن تفتح الباب على ديناميات سياسية جديدة قد تُحدث خرقاً في جدار الأزمة، وإن كان من الصعب التكهّن بتداعياتها على المديَين المتوسّط والبعيد، خصوصاً أنّ بعض المكونات المشكّل منها «المجلس الرئاسي» يستحكم فيها العداء.

الّافت في تشكيلة «المجلس الرئاسي» أنّ أعضاءه الثمانية لديهم خلفية عسكرية وأمنية، إذ يمثّل أربعة منهم قوى وكيانات عسكرية مستقلّة على الأرض، وهم: عبد الرحمن أبو زرعة ممثّلاً «ألوية العمالقة»، وطارق صالح ممثّلاً «حرّاس الجمهورية» في الساحل الغربي، وعيدروس الزبيدي ممثّلاً «المجلس الانتقالي الجنوبي»، وسلطان العرادة ممثّلاً فرع «حزب الإصلاح» في مأرب. ويبدو أنّ السعودية هدفت من توزيع المناصب على الوكلاء الفاعلين، إلى إعادة ترتيب وضْع وكلائها وتأطيرهم في هيكلية سياسية وعسكرية واحدة بعد الفشل الميداني وانسداد الأفق السياسي الذي خلّفته مرحلة هادي، بما يمكّن أن يوظّف لمقتضيات مرحلة التفاوض مع صنعاء من منطلق عسكري وسياسي موحّد. أدركت السعودية، متأخّرة جداً، أنّ الرهان على استمرار أسطورة «الرئيس الشرعي» خاسر، بل حتى أن الرئيس المُقال أصبح، منذ وقت طويل، عقبة حقيقية أمام إمكانية خروجها من المستنقع اليمني، فيما تبيّن أنّ الحرب التي شنّتها على اليمن بدعوى إعادته إلى العاصمة صنعاء، أسقطها الشعب اليمني منذ الأشهر الأولى للحرب. ولم يكن الاستمرار بالحرب، طوال السنوات الماضية، إلّا من باب المكابرة والعناد والاستخفاف بقدرة الشعب اليمني والرهان على استسلامه.

افتقدت المملكة، مع مضيّ الوقت، الخطّة السياسية للشروع في مسار اختيار البديل لهادي، في ظلّ استمرار الحرب التي تشكّل تهديداً وجودياً لها. وهي أدارت الأذن الصمّاء لكل ممارساته، وتمسّكت بتعويمه على رغم أدائه الضعيف وسوء إدارته وفساده. والشيء نفسه ينطبق على فريقه، وعلى معظم أعضاء مجلس الرئاسة الجديد، ومنهم مقرّبون من هادي. وفي هذا الإطار، يُنقل عن مسؤولين في المملكة، قولهم، إنّ «الحاجة الشديدة لهادي اقتضت الحفاظ عليه تحت أيّ ظرف. وعندما اكتُشف أنه بات يشكّل عبئاً حتى على مصالحنا، وقفت العاصمة السعودية إزاء ذلك عاجزة عن التخلّص منه وإيجاد البديل». استوطن هادي العقل «الجمعي» لأصحاب القرار في المملكة باعتباره الرئيس المعترف بحكومته دولياً والذي يؤمّن الغطاء

> **مركزة قادة الميليشيات في مجلس رئاسي ستشرعن الكانتونات القائمة وتؤدي إلى تفكيك البلد**

القانوني والسياسي للحرب على اليمن، وأن لتنحيته، أو حتى موته، عواقب مدمّرة على جهود الرياض في هذا المضمار. هكذا، بُنيت السردية الإعلامية والسياسية للسعودية، بما اصطلح على تسميته «دعم شرعية هادي». وهو نفسه اعترف، في مقابلة تلفزيونية، بأنه سمح بالحرب في الغيضة، مركز محافظة المهرة، أثناء هروبه من عدن إلى سلطنة عمان في الأيام الأولى للحرب.

على أنّ الضرر الذي مثّله وجود هادي على رأس «الشرعية»، لم يقتصر على السعودية، بل انتقل إلى المعسكر المحلّي التابع لدول التحالف والمناهض لـ«أنصار الله»، إذ واجهت إدارة المملكة الكثير من التحديات داخل هذا المعسكر لم يكن بإمكانها، على رغم تكرار المحاولات، تذليلها. وأثارت الخطوة السعودية انتقادات في صفوف الوكلاء المحليين على أكثر من صعيد، فحذّروا من تداعيات استمرار التحالفات بين المكونات المحسوبة على «التحالف» في المستقبل، فيما يرجّح مراقبون استحالة التوافق بين هذه المكونات المتقاتلة مناطقياً والمتباعدة عقائدياً. وفي هذا السياق، قال وزير النقل السابق، صالح الجبواني، إنّ قيام التحالف السعودي - الإماراتي بإيصال «الشرعية» إلى مرحلة الإهلاك الكامل، ثم الانقلاب عليها ومركزة قادة ميليشياتها في مجلس رئاسي غير دستوري يقود الدولة، سيشرعن الكانتونات القائمة وسيقود عملية تفكيك البلد، وصولاً إلى مرحلة التقسيم اللاحقة، إن لم ينفجر قبل إتمام هذه العملية لعدم تجانسه. وفكرة مجالس الرئاسة في اليمن قديمة، إذ تمّ اللجوء إليها سبع مرات منذ عام 1962 وجميعها فشل في تحقيق الأهداف التي شُكّلت من أجلها. وحديثاً، وخصوصاً في الحرب على اليمن، طُرحت هذه الفكرة أكثر من مرّة في المداولات السياسية، بما فيها المفاوضات التي جرت في الكويت عام 2016 بين السعودية وممثّلين عن «الشرعية» من جهة، ووفد صنعاء من جهة أخرى، لكن اشتراطات السفير الأميركي لدى اليمن حالت دون الوصول إلى اتفاق.

يأزالة هادي الذي يعتبر رمزاً للحرب، يزول احد اهم اسبابها (الاناضول)

تيار الإمارات يتقاسم السلطة: صنعاء متمسّكة بشروطها

صنعاء - رشيد الحداد

بدت تحرّكات «المجلس الرئاسي» الموالي للتحالف السعودي - الإماراتي، خلال اليومين الماضيين، مناهضة للسلام، إذ بدأ يتكشّف أنه جيء بأعضائه في مهمّة ترتيب الجبهات الداخلية، من أجل تجديد التصعيد في الفترة المقبلة. فرئيس المجلس، رشاد العليمي، توعّد، في أوّل كلمة له، باستمرار ما سمّاها «معركة استعادة الدولة ومواجهة الميليشيات الموالية لإيران»، ملمّحاً إلى رغبته في بقاء القوات الأجنبية في المحافظات الجنوبية والشرقية تحت ذريعة «مكافحة الإرهاب».

وعلى رغم فشل المجلس، حتى يوم أمس، في الاتفاق على لائحة داخلية تنظّم عمله وتُحدّد صلاحيات أعضائه، بدأ رئيس «المجلس الانتقالي الجنوبي» الموالي للإمارات، عضو «المجلس الرئاسي» عيدروس الزبيدي، ممارسة مهامّ نائب الرئيس المعزول، علي محسن الأحمر، بلقاء قيادات عسكرية، أبرزها وزير دفاع الحكومة الموالية لـ«التحالف»، وعدد من المسؤولين الموالين للرئيس المُعفى من مهامّه، عبد ربه منصور هادي، وآخر لحزب «الإصلاح»، لبحْث الترتيبات العسكرية التي يجريها «الرئاسي» لدمج الميليشيات العسكرية، في إطار العودة إلى التصعيد العسكري. وفيما بعث الزبيدي برسالة إلى الشارع الجنوبي الساخط من مشاركته في «الإصلاح»، علماً أن هذه الميليشيات حاولت تفجير الأوضاع عسكرياً صباح الجمعة، بعدما شنّت هجوماً عنيفاً على مواقع تابعة للجيش و«اللجان» جنوب مدينة مأرب، استمر لساعات وانتهى بسقوط المزيد من مواقع هذه الميليشيات. وتأتي هذه التحركات بالتزامن مع زيارة سيقوم بها المبعوث الأممي إلى اليمن، هانس بروندبرغ، إلى عدد من المحافظات اليمنية خلال الأيام المقبلة، من مثل عدن وتعز وصنعاء، لبحث أطر تنفيذ البند الرابع من الهدنة الموقّعة بين صنعاء والرياض من جهة، وبين صنعاء والحكومة الموالية لـ«التحالف» من جهة أخرى، وتعيين ضباط ارتباط موالين لفتح الطرق والممرات المغلقة منذ سنوات، ما يؤكد أن نوايا «المجلس الرئاسي» ليست متصلة بالسلام، وهو الذي لم يستطع، منذ أيام، جمْع عدد محدود من أعضاء البرلمان المنشقّين ليؤدّي اليمين الدستورية في السفارة اليمنية في الرياض، أو في مدينة عدن التي يُتوقّع عودته إليها.

وتفيد مصادر دبلوماسية في الرياض، بأن هناك مخاوف من غدْر «حزب الإصلاح» المُمثّل في المجلس، وتسليم مأرب إلى الجيش اليمني و«اللجان الشعبية»، رداً على عزْل الأحمر بشكل مهين من منصبه، ووضْعه قيد الإقامة الجبرية، فضلاً عن قيام المملكة أخيراً بالحجز على كافة الحسابات المصرفية الخاصّة بالموالين له من قيادات «الشرعية» السابقة. وتبيّن اللقاءات المكثّفة الموازية التي عقدها أيضاً التيار الموالي للإمارات في «المجلس الرئاسي» مع قيادات قبلية في محافظة مأرب، أن هناك ترتيبات عسكرية لتسليم الميليشيات الموالية لأبو ظبي الملفّ العسكري في هذه المدينة بعد سحبها من ميليشيات «الإصلاح»، علماً أن هذه الميليشيات حاولت تفجير الأوضاع عسكرياً صباح الجمعة، بعدما شنّت هجوماً عنيفاً على مواقع تابعة للجيش و«اللجان» جنوب مدينة مأرب، استمر لساعات وانتهى بسقوط المزيد من مواقع هذه الميليشيات. وتأتي هذه التحركات بالتزامن مع زيارة سيقوم بها المبعوث الأممي إلى اليمن، هانس بروندبرغ، إلى عدد من المحافظات اليمنية خلال الأيام المقبلة، من مثل عدن وتعز وصنعاء، لبحث أطر تنفيذ البند الرابع من الهدنة الموقّعة بين صنعاء والرياض من جهة، وبين صنعاء والحكومة الموالية لـ«التحالف» من جهة أخرى، وتعيين ضباط ارتباط موالين لفتح الطرق والممرات المغلقة منذ سنوات، ما يؤكد أن نوايا «المجلس الرئاسي» ليست متصلة بالسلام، وهو الذي لم يستطع، منذ أيام، جمْع عدد محدود من أعضاء البرلمان المنشقّين ليؤدّي اليمين الدستورية في السفارة اليمنية في الرياض، أو في مدينة عدن التي يُتوقّع عودته إليها.

ومنذ الإعلان عن تشكيل «المجلس الرئاسي»، أدركت صنعاء أن ما حدث لا يعدو كونه «مسرحية هزلية» أسقطت هادي ونائبه، في مقابل تعيين آخرين، وهو ما يخالف الدستور اليمني الذي يُلزم رئيس الجمهورية تسليمَ مهامّه للبرلمان، على أن ينتخب الأخير مجلساً انتقالياً. لذلك، أكد «المجلس السياسي الأعلى» في صنعاء، خلال اجتماعه السبت، ضرورة التزام السعودية برفع الحصار وإزالة كل العوائق التي تعترض وصول السفن إلى ميناء الحديدة وفتح مطار صنعاء، بصفتها المدخل الرئيس للتعاطي مع بقية القضايا، معتبراً أن ما حدث «يؤكد زيف الشرعية التي تم الانقلاب عليها من قِبَل مَن اتّخذها يافطةً لتدمير اليمن وقتال شعبه وحصاره لأكثر من سبع سنوات»، لافتاً إلى أن «مَن يشارك في مجلس المرتزقة، مشارك في العدوان على اليمن». وجدّدت حكومة صنعاء تمسُّكها بشروطها من أجل توقيع «اتفاق وطني مشترك»، مشيرةً على لسان نائب وزير الخارجية، حسين العزي، إلى أنها دعت مراراً «مرتزقة العدوان» إلى توقيع ميثاق شرف وإعلان وطني مشترك، إلّا أنهم رفضوا ذلك.

الحدث يبدو أن القوات الروسية تسعى، من خلال حشد قواتها في الشمال الأوكراني، إلى استكمال السيطرة على خاركيف وإيزيوم ومحيطهما، ولكن بعد الانتهاء من معركة الدونباس التي وضعتها هدفاً أول لعملياتها العسكرية المتواصلة في أوكرانيا

موسكو تستعدّ لما بعد الدونباس: التحشيد يتواصل شمالاً

موسكو ــ **أحمد الحاج علي**

يسود جبهة الشمال الأوكراني (خاركيف وإيزيوم ومحيطهما) هدوء نسبي، فيما تكثّف الاستخبارات العسكرية الروسية ومجموعات العمليات الخاصة عملها هناك. وهو ما بدأ يثير قلق قيادة أركان القوات المسلحة الأوكرانية، في وقت تواصل فيه موسكو تحشيد قواتها في هذا الاتجاه. وتشير تسريبات القوات الأوكرانية إلى أن نظيرتها الروسية تستعدّ لشنّ هجوم واسع في هذه المنطقة بين 12 و19 نيسان الجاري. وينسحب الهدوء الحذر على الشرق الأوكراني، حيث تواصل القوات الروسية توجيه ضرباتها نحو مراكز تجمُّع القوات الأوكرانية في الدونباس، ما يعني تمهيداً للهجوم الواسع المتوقع في عمق المناطق التي تتحصّن فيها القوات الأوكرانية.

وتفيد المعلومات بأن القوات الروسية انتزعت عملية السيطرة على مرفأ ماريوبول من المسلّحين الأوكرانيين. فبعد فقدان القوات الأوكرانية وميليشيات «آزوف» السيطرة على المباني المرتفعة في هذا المربّع، لم يعد أمامها من حلّ سوى الانسحاب إلى المنطقة الصناعية (مربع مصنع «أزوف ستال» للتعدين)، بعدما باتت منطقة المرفأ مكشوفة أمام المدفعية وسلاحَي الجوّ والمدرّعات الروسيَّين. وأشارت محاولة تهريب شخصيات قيادية من مدينة ماريوبول عبر البحر، اهتماماً كبيراً لجهة معرفة مَن هي الشخصيات التي حاول الدبلوماسيون الأوروبيون والقيادات العسكرية الأوكرانية إخراجها من داخل آخر معاقل المدينة المحاصرة. وبحسب مصادر أمنية مطّلعة، يبدو أن مَن سعوا إلى الفرار من المدينة، هم قيادة عمليات «الناتو» فيها. ويدور الحديث حول عدد ليس بقليل من ضباط دول «حلف شمال الأطلسي» الذين ساعدوا القوات المسلحة الأوكرانية، بشكل مباشر، في إعاقة تقدُّم القوات الروسية وقوات «دونباس الشعبية» في اتجاه المدينة والمحور الجنوبي عموماً. وأعلنت سلطات «دونباس الشعبية» أن مجموعات من قوات «آزوف» المتبقّية في مدينة ماريوبول، استولت على سفينتَين أجنبيتَين، هما: «تساريفنا» و«ليدي أوغستا»، واحتجز المسلّحون طواقم السفينتَين كرهائن وأطلقوا قذائف الهاون من عيار 122 ملم من على متنهما. وفي جهتها، أشارت مصادر الدفاع الروسية إلى أن نظام كييف حاول إجلاء قياديين من كتيبة «آزوف» والمرتزقة الأجانب من مدينة ماريوبول عن طريق البحر، بعدما باءت محاولاتهم تهريب هؤلاء القياديين وضباط المرتزقة جواً، خلال الأيام السابقة، بالفشل.

في اتجاه خيرسون - ميكولاييف جنوب أوكرانيا، رُصد عمل مكثّف للاستخبارات العسكرية الروسية (أ ف ب)

> **تفيد المعلومات بأن القوات الروسية انتزعت السيطرة على مرفأ ماريوبول من المسلّحين الأوكرانيين**

وفي اتجاه خيرسون ـ ميكولاييف جنوب أوكرانيا، رُصد عمل مكثّف للاستخبارات العسكرية الروسية، حيث يتكشّف تباعاً وجود خلايا «الدفاع الإرهابي» الأوكرانية، وهي خلايا ومجموعات متطرّفة تحاول إخفاء مواقعها السرّية في المناطق التي تسيطر عليها القوات الروسية، في انتظار وصول القوات الأوكرانية. وتشير مصادر أمنية مطّلعة إلى أن المشكلة الأكبر بالنسبة إلى نظام كييف، هي وقوع لوائح بأسماء وتشكيلات مجموعات «الدفاع الإرهابي» الأوكرانية بيد الاستخبارات العسكرية الروسية. فالتكتيك الذي تعوّل عليه قيادة الأركان الأوكرانية بعد انهيار جبهات مواقعها المحصّنة، هو «حرب العصابات»، لكن الصيد الروسي الثمين وجّه ضربةً قاصمة لـ«عصابات الحرب الأوكرانية» قبل الشروع في «حربها». وتبيّن المعلومات الواردة في تلك الوثائق السرية مواقع ونقاط تمركز مجموعات «حرب العصابات» الأوكرانية.

من جهتها، أعلنت وزارة الدفاع الروسية تدمير مقرّ قيادة كتيبة «دنيبرو» التابعة للقوميين الأوكرانيين في بلدة زونيتسوكويه التابعة لمقاطعة دنيبروبيتروفسك في جنوب شرق أوكرانيا، بواسطة صواريخ عالية الدقة. وأشارت المعلومات إلى وصول وحدات مرتزقة أجانب، أخيراً، إلى هذا الموقع. كما أفاد الناطق باسم الدفاع الروسية، اللواء إيغور كوناشينكوف، بأن القوات الروسية دمّرت بصواريخ جو ـ جو عالية الدقة منصّات إطلاق صواريخ «إس ــ 300» الموجودة بحوزة القوات المسلحة الأوكرانية في محيط قرية ستاروبوغدانوفكا في مقاطعة ميكولاييف وفي مطار تشوغويف العسكري في ضواحي مدينة خاركيف. وأسقطت وسائل الدفاع الجوي الروسية ثماني طائرات أوكرانية مسيّرة دون طيار، فيما وجّه سلاح الجوّ الروسي ضربات نحو 86 هدفاً عسكرياً أوكرانياً خلال اليوم الماضي، منها مقرّ قيادة ومستودع ذخائر، وثلاث محطات تخزين وقود، وعدد من راجمات الصواريخ المتعدّدة، و49 موقعاً محصّناً ومحطة لتجمّع الآليات الحربية الأوكرانية.

جونسون في كييف: مدّ الحرب... بمزيد من السلاح

لندن - **سعيد محمد**

في زيارة غير معلنة، وصل رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، إلى العاصمة الأوكرانية، كييف، حيث التقى الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي. وبحسب مطلعين على تفاصيل الزيارة، فإن جونسون وصل إلى أوكرانيا - وسط استحالة السفر الجوي - في رحلة سريّة بقطار مدني آتياً من شرق بولندا، إلّا أن ذلك لم يؤكّد رسمياً. على أن صوراً للرئيس العتيد في جولة له على الأقدام في العاصمة الأوكرانية رفقة زيلينسكي وجنود أوكرانيين، مالأت الصفحات الأولى لصحف لندن صباح يوم أمس، فيما اعتبر مسؤولون أوكرانيون، بمن فيهم وزير الدفاع، الزيارة «مثالاً للشجاعة، وتجسيداً للديموقراطية والصداقة الحقيقية بين الشعوب»، وأشاد مستشار للرئاسة الأوكرانية بـ«أهمية توقيتها»، وتأثيرها الهائل في معنويات المواطنين الأوكرانيين الذين لم يصدّقوا عيونهم عندما رأوا رئيس وزراء بريطانيا يتجوّل بينهم في قلب كييف.

وفي تعليق للناطق باسم 10 داونينغ ستريت (مقر رئاسة الوزراء في لندن) على أنباء الزيارة، أكد أن جونسون نقل، خلال لقائه زيلينسكي، تفاصيل عن حزمة عريضة من المساعدات المالية وإمدادات السلاح التي قرّرت بريطانيا تخصيصها إلى الجانب الأوكراني، في إطار ما سمّاه الناطق «دعم المملكة المتحدة طويل الأجل للأوكرانيا، وتضامنها مع الشعب الأوكراني». وأتت زيارة جونسون بعد يوم واحد من إعلانه عن مساعدة عسكرية إضافية للجيش الأوكراني بقيمة 100 مليون جنيه استرليني (حوالى 130 مليون دولار أميركي)، تتضمّن 800 صاروخ مضاد للدبابات، وصواريخ مضادة للطائرات، وما يسمّى بـ«الطائرات الانتحارية من دون طيار». وتُعتبر بريطانيا من أهمّ شركاء أوكرانيا العسكريين، وقد نقلت للجيش الأوكراني أسلحة حيوية مضادة للدبابات، بما فيها نظام «إن-لاو» السويدي الصنع، ودرّبت، في السنوات القليلة الماضية، أكثر من 25 ألف جندي أوكراني في قواعد في بريطانيا، كما أرسلت لكييف مدرّبين ومتعهدين لتدريب كوادر الجيش.

لكن خبراء عسكريين قلّلوا من قيمة الزيارة، بحكم أن القوات الروسية كانت انسحبت بالفعل من المواقع الأمامية حول العاصمة كييف التي وصلت إليها مع بداية المعارك نهاية شباط الماضي، وأن المدينة تعيش، منذ 29 آذار الماضي، أوضاعاً أمنية مستقرة بعدما توقّفت المدفعية الروسية عن استهدافها بالقصف اليومي، ما سمح لعدد من القادة الأوروبيين بزيارتها، ومن بينهم: رئيسة المفوضيّة الأوروبية أورسولا فون دير لاين، رفقة نائبها جوزيب بوريل. وبحسب سياسيين بريطانيين، فإن جونسون يستغلّ الأزمة الأوكرانية مجدّداً للهروب من الأوضاع السياسية الضاغطة على حكومته، وإعادة تسويق نفسه كبطل عالمي، فيما يجاهد وزير ماليته للمحافظة على منصبه بعد انكشاف تهرّب زوجته من دفع ضرائب مستحقّة على مصالحها التجارية، تُقدَّر بملايين الجنيهات، وبينما تعيش بريطانيا واحدة من أسوأ حلقات التضخّم في تاريخها الحديث، وتنخفض مستويات المعيشة بشكل قياسي لم تشهده البلاد منذ الحرب العالمية الثانية. وكان جونسون زار كييف أيضاً في الأوّل من شباط الماضي، قبل أسابيع من انطلاق العملية العسكرية الروسية، وأجرى محادثات مع زيلينسكي، في وقت كانت ترتفع فيه الأصوات داخل البرلمان البريطاني بالدعوة إلى إسقاط حكومة المحافظين التي يرأسها، بالنظر إلى تورّطها بمخالفات صريحة لقوانين فرضت على المواطنين خلال مراحل العزل الشامل أثناء جائحة «كوفيد-19». واعتبر كثيرون، في حينه، أن زيلينسكي أنقذ جونسون من نهاية كانت قريبة لحياته السياسية.

لكن الأخطر في زيارة جونسون، مغزاها العسكري لا السياسي؛ إذ يبدو «حلف شمال الأطلسي» مصمّماً على المضيّ في إغراق أوكرانيا بالمزيد من السلاح على نحو يدفع السلطات اليمينية في كييف إلى التعنّت والاستمرار في تعريض أرواح المدنيين للخطر، خدمةً للمشروع الأميركي، وذلك على رغم ادعاءات الحلف بأنه لن ينخرط في أيّ نزاع مباشر في أوكرانيا تجنّباً لنشوب حرب كبرى بين أطراف نووية. وكان 10 دوانينغ ستريت أعلن عن بعض ما حمله جونسون في جعبته من وعود لزيلينسكي بالإمدادات العسكرية، والتي تضمنت - وفق الناطق دائماً - 120 مركبة مدرعة متطوّرة، وأنظمة صواريخ جديدة مضادة للسفن، ومعدات للقتال البري من خوذات ودروع واقية للجسم ونظارات للرؤية الليلية. ويقول خبراء إن هذا النوع من الصواريخ، يمكن أن يلحق أضراراً جسيمة بالسفن الحربية الروسية التي تفرض حصاراً تامّاً على المنافذ البحرية الأوكرانية على البحر الأسود. وعُلم في لندن أن جنوداً أوكرانيين وصلوا بالفعل إلى قاعدة بريطانية للتدرّب على استخدامها.

وقد تبادل كل من جونسون وزيلينسكي الإشادة بالآخر في تصريحات للصحافة. واستغلّ الرئيس الأوكراني زيارة رئيس الوزراء البريطاني لبلاده ووعوده بتسليم أسلحة متطوّرة، للتصويب على دول أعضاء في حلف «الناتو» قال إنها تتجنّب دعم الجيش الأوكراني مباشرةً، من مثل ألمانيا، فيما «المملكة المتحدة تقف إلى جانبنا بلا تردّد في هذه المعركة المستمرة، وتزوّد جيشنا بأسلحة حيويّة لمعارك الدبابات».

> **تزامنت زيارة جونسون مع إعلان المفوضية الأوروبية عن تقديم مليار يورو لدعم أوكرانيا والدول المجاورة**

وتزامنت زيارة جونسون مع إعلان المفوضية الأوروبية عن تقديم مليار يورو (حوالى 1,1 مليار دولار) لدعم النظام الأوكراني الحاكم، والدول المجاورة التي تستقبل اللاجئين الأوكرانيين. ويريد الجانب الأميركي الذي يقود المواجهة الاقتصادية العالمية المباشرة مع روسيا، من الحلفاء الأوروبيين، تكثيف دعمهم المادي والعسكري للقوات الحكومية الأوكرانية والميليشيات القومية المتطرفة، للاستمرار في استنزاف القوات الروسية التي نجحت في تثبيت جزء كبير من القوة الأوكرانية في الشمال (جوار كييف)، والجنوب (حول أوديسا)، فيما تركّز قوتها النارية لشنّ هجوم كاسح لإنهاء تواجد ما بين 60 و100 ألف من المقاتلين في جوار إقليم دونباس (شرق). ويبلغ تعداد القوات الأوكرانية الرسمية حوالى 600 ألف مقاتل، يضاف إليهم 250 ألفاً آخرين من ميليشيات سلّحها ودربها «الناتو» داخل أوكرانيا نفسها وفي دول الجوار. وبحسب أرقام بولندية رسمية، فإن أكثر من 200 ألف من الأوكرانيين عبروا الحدود نحو بلادهم، للمشاركة في الحرب التي انطلقت في 24 شباط الماضي. وفيما لا يزيد تعداد القوات الروسية المنخرطة في القتال داخل أوكرانيا على 150 ألفاً، فإن المناورة الروسية أشغلت ثلثي القوات الأوكرانية بتحصين العاصمة وميناء أوديسا الاستراتيجي في الجنوب، بينما يتم التعامل مع الشريط البري الرابط بين شبه جزيرة القرم وإقليم دونباس من خلال إسقاط عاصمة الميليشيات النازية في ميناء ماريوبول ومدينة ميكولاييف الجنوبية، الأمر الذي سيضع الشرق الأوكراني بأكمله في كماشة الجيش الروسي، تاركاً المجال لهروب القوات الأوكرانية المتحصّنة فيه نحو الغرب.

باكستان

عمران خان يخسر مباراته النهائية: خارج السلطة بـ«مؤامرة أجنبية»

بات عمران خان خارج السلطة، بموجب تصويت على سحب الثقة من حكومته. مصيرٌ كان قد تجنّبه، قبل أسبوع، بعدما أصدر قرار بحلّ البرلمان. بكلّ الأحوال، سيفتح خروج خان من المعادلة الحكومية الباب أمام دخول شهباز شريف، شقيق رئيس الحكومة الأسبق نواز شريف. وبغضّ النظر عن تاريخه والاتهامات التي طاولته بالفساد والرشاوى، ففي حال تعيينه رئيساً للوزراء، سيواجه شريف تحديات اقتصادية وأمنية جسيمة، في ظلّ ركود النمو الاقتصادي وتزايُد هجمات حركة «طالبان» الباكستانية، ومجموعات انفصالية في بلوشستان

إذا صحّت اتّهامات عمران خان لواشنطن، تكون هذه الأخيرة قد نجحت في عزله عن منصبه رئيساً للحكومة الباكستانية، بعد محاولة سابقة كانت قد باءت بالفشل. خان، الذي اعتقد أنّه نجا من هذا المصير، قبل ستة أيام، عبر حلّ البرلمان، عالجته المحكمة العليا بالضربة القاضية، بعدما قضت بأنّ كلّ هذه العملية غير دستورية.

وأعادت عمل الجمعية الوطنية، كما أمرت بأن تمضي بتصويت على مذكّرة حجب الثقة التي خسرها خان، بعدما تخلّى عنه قبل عدّة أيام حلفاؤه.

وردّاً على هذا الإجراء، أكّد خان أنّ بلاده «تتعرّض لمؤامرة أجنبية تهدف إلى تغيير النظام». وقال، على حسابه على موقع «تويتر»، إنّ «باكستان أصبحت دولة مستقلّة عام 1947، لكنّ النضال من أجل الحرية يبدأ اليوم من جديد ضدّ مؤامرة أجنبية لتغيير النظام».

يبقى أنّ خان ليس الأول الذي أُجبر على ترك منصبه، فمصيره مشابه لمصير أسلافه، إذ لم يُكمل أيّ رئيس وزراء ولايته في باكستان. بالتالي، لم يشكّل هذا النجم الرياضي السابق، البالغ من العمر 69 سنة، استثناء.

على الرغم من ذلك، لا يزال عمران خان يحظى بشعبية لدى شرائح واسعة من الشعب الباكستاني، لكنّه لم يقل كلمته الأخيرة بالنسبة للانتخابات المقبلة. إلّا أن أداءه وميله، في الأيام الأخيرة، لزيادة الانقسامات في المجتمع الباكستاني، عبر شنّ هجمات عنيفة على المعارضة المتهمة بـ«الخيانة»، يمكن أن يلعب ضدّه.

وكان خان قد وصل إلى السلطة، عام 2018، بعد فوز حزبه «حركة إنصاف» في الانتخابات التشريعية، بشعارات شعبوية تجمع بين وعود الإصلاح الاجتماعي والمحافظة الدينية ومكافحة الفساد. وبعد عشرين عاماً على دخوله السياسة، أثمرت مثابرة الرجل الذي يحبّه ملايين الباكستانيين لقيادته فريق الكريكيت الوطني إلى فوزه الوحيد بلقب كأس العالم، في عام 1992. وفي رئاسة الحكومة، استفاد الرجل الذي يدعو إلى «باكستان الجديدة»، أولاً من صورته كرافض للفساد ومن سأم المجتمع من الحزبين التقليديين، اللذين احتكرا السلطة لعقود مع الجيش. لكنّه ورث وضعاً مالياً متأزّماً فاقمته خياراته الرديئة والوضع الاقتصادي المتدهور، ما أدّى إلى تراجع شعبيّته، في الأشهر الأخيرة، ودفع حلفاء له في الائتلاف الحاكم للانضمام للمعارضة لمحاولة إطاحته من المنصب. وما أضعفه أكثر، هو ارتفاع التضخّم (10 في المئة عام 2021)، والنموّ الاقتصادي الذي ظلّ صفراً، خلال السنوات الثلاث الماضية، والانخفاض الحاد في قيمة الروبية، منذ تموز، وتفاقم الديون.

كذلك، تزايدت الصعوبات أمام عمران خان مع تدهور الوضع الأمني، لا سيما منذ تولّي حركة «طالبان» السلطة في أفغانستان المجاورة، في منتصف آب. وقد فُسّرت عودة الحركة الأصولية إلى السلطة، في البداية، على أنّها انتصار لباكستان التي طالما اتُّهمت بدعمها،

> **يبقى الجيش أقوى مؤسّسة في باكستان وقاد البلاد على مدى نصف تاريخه تقريباً**

ولرئيس وزرائها الذي أطلق عليه لقب «طالبان خان»، لأنّه لم يتوقّف عن الدعوة إلى الحوار معها وتقويض الاستراتيجية الأميركية في أفغانستان. ولكن بعد سنوات من الهدوء النسبي، استُؤنفت بقوة الحركة الأصولية إلى العمل الدموي السابق، البالغ من العمر 69 سنة، استثناء.

على الرغم من ذلك، لا يزال عمران خان يحظى بشعبية لدى شرائح واسعة من الشعب الباكستاني، رغم تعهّد كابول عدم السماح باستخدام الأراضي الأفغانية في هذه الأغراض.

على أنّ خان عانى، أيضاً، من تدهور علاقاته مع الجيش، الذي اتُّهم بالتدخّل لصالحه خلال انتخابات عام 2018، رغم أنّه يبدو من غير المرجّح أنه كان بإمكانه البقاء في السلطة، من دون موافقة ضمنية من الجيش.

في أثناء ذلك، لم تحقّق جهود عمران خان، الرامية إلى تحويل باكستان إلى فاعل إقليمي رئيسي، نجاحاً كبيراً أيضاً. وجاء ذلك بينما تراجعت علاقات إسلام آباد مع واشنطن والدول الأوروبية، وفيما تقاربت باكستان من الصين.

والآن، مع خروجه من المعادلة الحكومية، بات وصول شهباز شريف، القيادي المخضرم والصارم، إلى أبواب رئاسة الحكومة، هو الأكثر ترجيحاً، الأمر الذي سيسمح لهذا الأخير بالخروج من ظلّ شقيقه نواز.

وشهباز شريف، الذي يُتوقع أن تنصّبه الجمعية الوطنية اليوم رئيساً للوزراء، هو الشقيق الأصغر لنواز شريف، الذي تولّى هذا المنصب ثلاث مرات في السابق، قبل إقالته عام 2017 على خلفية قضايا فساد وسجنه، ثمّ إطلاق سراحه بعد سنتين لأسباب طبية، وهو يقيم منذ ذلك الحين في المملكة المتحدة. ورئيس «الرابطة الإسلامية الباكستانية»، البالغ من العمر سبعين عاماً، هو سياسي مخضرم قاد على مدى سنوات حكومة ولاية البنجاب، الأكثر تعداداً للسكّان في البلاد، والمعقل الانتخابي لحزبه.

وتورّط شريف في قضايا رشاوى وفساد، وهي اتهامات يقول أنصاره إنّها كانت مدفوعة بالكيد السياسي من قبل رئيس الوزراء الذي أطيح عمران خان.

وفي كانون الأول 2019، صادرت هيئة مكافحة الفساد حوالى عشرين عقاراً يعود لشهباز شريف ونجله حمزة واتهمتهما بتبييض أموال. وأوقف واعتُقل في أيلول 2020، وبعد ستة أشهر أُفرج عنه بكفالة بانتظار محاكمة ما زالت معلّقة.

وسط كلّ ذلك، يبقى الجيش أقوى مؤسّسة في باكستان، وقاد البلاد على مدى نصف تاريخه تقريباً، وهو لا يزال يمسك بالخيوط ولو أنه لم يعد هو في السلطة. وبناء عليه، قال شهباز شريف: «ما زلت متأصراً كبيراً لتنسيق فعّال بين إسلام آباد وراولبيندي»، في إشارة إلى العاصمة الإدارية، والمقرّ العام للجيش المجاور.

وفي حال تعيينه رئيساً للوزراء، سيواجه تحديات اقتصادية وأمنية جسيمة، في ظلّ ركود النمو الاقتصادي وتزايُد هجمات حركة «طالبان» الباكستانية، ومجموعات انفصالية في بلوشستان.

أكّد خان أنّ «النضال من أجل الحرية يبدأ اليوم» (أ ف ب)

السلة اللبنانية

الرياضي والحكمة: عودة إلى زمن المشاكل!

لم يمرّ «دربي بيروت» بين الرياضي والحكمة على خير بعد ظهر أمس في قاعة صائب سلام في المنارة، إذ توقفت المباراة قبل نهايتها، وفي الربع الثالث تحديداً، بسبب إشكال كبير كاد يتطوّر إلى نتائج لا تحمد عقباها. أزمةٌ قديمة - جديدة وجّهت صفعة لبطولة لبنان لكرة السلة الساعية لاستعادة عافيتها

قبل أيام قليلة خرج الاتحاد اللبناني لكرة السلة ببيان معلناً إعادة العنصر الأجنبي بقوة بمعدل لاعبَين اثنين لكل فريق ابتداءً من الموسم المقبل، وذلك في موازاة العودة أيضاً إلى نظام فني قديم مختلف عن النظام الحالي للبطولة. كل هذه القرارات تهدف بالأساس إلى إعادة الصورة السابقة للبطولة من حيث قوة المنافسة والاستعراض وغيرها من الأمور المثيرة التي تعيد الاهتمام إليها بالشكل الذي عرفته في أحلى أيامها.

لكن اللعبة عادت سنوات إلى الوراء أمس بصورةٍ سلبية، وهي ارتبطت تحديداً بمشهدٍ قديم بدا كلاسيكياً خلال مواسم عدة عرفت منافسة حامية الوطيس بين قطبي اللعبة الرياضي والحكمة. وقتذاك غلبت النزعة المناطقية، وأحياناً السياسة والطائفية كل الروح الرياضية والمنادين بها. لكن أمس لم يكن هناك أي داعٍ لحصول هذا الإشكال الكبير الذي عرفه ملعب المنارة، إذ إن المباراة ليست إقصائية أو نهائية بل إنها مجرد مواجهة عادية لن تؤثر منطقياً على تأهل الفريقين إلى المرحلة المقبلة من البطولة.

لكن رغم كل هذا كان التوتر حاضراً منذ البداية وشعر به كل الموجودين في الملعب، فأعاده البعض إلى الفوز الذي حقّقه الحكمة على حامل اللقب ذهاباً وتغنى به كثيراً ما استفز جمهور الرياضي عبر مواقع التواصل الاجتماعي لأسابيع طويلة، وخلق مناوشات كلامية بين حالة الهرج والمرج اشتعلت من الموجودين في الملعب وسط عجز عناصر قوى الأمن عن السيطرة على الوضع بسبب عددهم القليل الذي لا يلتقي مع حجم مباراةٍ من هذا النوع أو عدد الجمهور الكبير، وهي مسألة كانت مؤثرة على حلّ الإشكال الذي دفع إلى الطلب من لاعبي والجهاز الحكموي الدخول إلى غرف الملابس لتأمين لسلامتهم، لكن حتى نزول رئيس الاتحاد أكرم الحلبي للحرص على سير هذه المسألة لم يبرّد الأجواء، إذ اصطدم بكشّاف الفريق الأخضر جاد مبارك ليدخلا في مشادةٍ كلامية قاسية لا شك في أنها ستتسبّب بإيقافٍ الأخير لفترةٍ غير قصيرة.

ومع إخراج الجمهور من الملعب، رفض الحكمة بلسان رئيسه إيلي يحشوشي استكمال المباراة ليفوز الحكام خسارة فريقه (0-20)، وذلك في وقتٍ أشار الحلبي إلى أن «هناك من يسعى إلى إيقاف البطولة وعدم استكمالها»، منتظراً بحسب قوله نتائج التحقيق من القوى الأمنية. كما أكد الحلبي أن الاتحاد سيجتمع بشكلٍ طارئ واستثنائي لاتخاذ قرارات حازمة «والبطولة ستستكمل ولو من دون جمهور أو في ملاعب محايدة».

بطبيعة الحال، ما حصل لن ينتهي هنا، ولم يبدأ أيضاً هنا، إذ إن التوتر بين الحكمة والاتحاد كان حاضراً في أكثر من مناسبة، وتحديداً منذ الموسم الماضي مع إيقاف مدرب «الأخضر» جو غطاس، ومن ثم الكلام المتبادل في المجالس الخاصة، قبل أن يعلن يحشوشي قبل أيام قليلة بأنه يحمل في جعبته العديد من المسائل التي سيكشف عنها.

(الأخبار)

تحوّلت مواجهة الرياضي والحكمة إلى مواجهة بين الجمهور والقوى الامنية (فادي مرقى)

> انسحب الحكمة من مواجهة الرياضي بعد اجتياح الجمهور للملعب

مشجعي الفريقين، انسحبت أمس توتراً حتى على أرض الملعب، بدأ عندما تلقى صانع ألعاب الرياضي علي منصور خطاين تقنيين أدّيا إلى طرده من المباراة.

لكن الفتيل الذي أشعل الأزمة كان قبل 1,7 ثانية على نهاية الربع الثالث حيث كانت النتيجة تشير إلى تقدّم أصحاب الأرض بفارق 4 نقاط (56-52)، فحصلت مشادة كلامية بين نجم الحكمة علي مزهر وأحد المشجعين، تطوّرت إلى إطلاق مشجعين شتائم من الاتجاهات المختلفة في الملعب الممتلئ، ما استدعى تدخل عناصر من مكافحة الشغب بقوة، وهو ما أثار رد فعل من جمهور الرياضي الذي بدأ يرمي كل ما وصل إلى يديه باتجاه الملعب قبل أن يقتحمه محاولاً الوصول إلى لاعبي الحكمة وخصوصاً مزهر.

استراحة

كلمات متقاطعة 4004

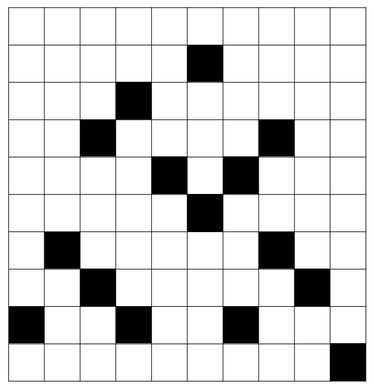

افقيا

1- وزير خارجية روسي – 2- آلة موسيقية – عنصر كيميائي – 3- ناخذ بالنصيحة بين بعضنا – معبر – 4- أصل – أدامت النظر – منخفض بالأجنبية – 5- كفّ وردّ – فتى مدلع – 6- رب الأسرة – عملية إستصلاح الأرض بوضع الزبل في التربة – 7- أغلظ أوتار العود – آلة لدفع الهواء داخل إطارات السيارات – 8- عائلة رؤساء حكومة في لبنان – وعاء الخمر – 9- من الكواكب – سقي النبات – بئر عميقة – 10- حركة مسلحة في الصحراء الغربية المغربية

عمودياً

1- مدينة فرنسية – 2- مرفأ أوروبي معروف – ود – 3- من العملات – مرض – ثُقال على الهاتف – 4- ينساب الماء في جوف الأرض – إلتام الجرح – 5- لمع البرق – عائلة مطربة سورية – 6- من الألوان – حكم بخسارة التاجر أمواله – 7- هرب – من الحيوانات – 8- طرّب صوته – شدخ رأسه – سحب – 9- من ضواحي لندن – إمارة عربية – 10- من أمراء لبنان التاريخيين

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- اسكودار – رع – 2- سام – مناديل – 3- وليم – غول – 4- نون – آلد – أم – 5- سن – الزهي – 6- ي ي ي – مارا – 7- سيات – سجل – 8- نح – صنبور – 9- القيصر – آح – 10- كمال الطويل

عمودياً

1- اسونسيون – 2- سالوني – حام – 3- كمين – يس – لا – 4- يصقل – 5- دم – المانيا – 6- انغلز – تبصّل – 7- راودهم – وَرَط – 8- دلّ – ياسر – 9- ري – رج – أي – 10- علقمة الفحل

4004 sudoku

2		3			9		4	
8				6				3
	9		2		4		7	
		9				2		
	6		7		8			1
1				5		8		4
4				8		7		
9			4				3	
	3	1	6		2			5

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4003

9	1	6	3	7	2	4	8	5
5	8	7	4	6	9	2	3	1
2	3	4	8	5	1	9	6	7
4	2	1	6	3	7	5	9	8
3	9	5	1	4	8	6	7	2
6	7	8	2	9	5	3	1	4
7	4	9	5	8	3	1	2	6
8	6	2	9	1	4	7	5	3
1	5	3	7	2	6	8	4	9

مشاهير 4004

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مطرب وملحن سوري من جزيرة أرواد. برع في أغاني محمد عبد الوهاب. كرّس علوم الموسيقى الغربية لخدمة الغناء العربي

11+4+5+6+8 = دولة عربية ■ 7+10+9+5 = سلاح مدفعي ■ 1+3+2 = شعر الغنم

حل الشبكة الماضية: **رينيه ديكارت**

إعداد نعوم مسعود

بريمير ليغ

زلزال في مانشستر... الترقيع لم يعد مجدياً

مانشستر يونايتد ليس بخير. الخسائر متتالية ومعالم النهوض غير واضحة. لا مشروع يرفع الآمال، ولا نتائج تشفع للإدارة والجهاز الفني واللاعبين. مسلسل السقوط الكبير مستمر بانتظار تحسينات الصيف المقبل

حسين قحص

تنحّى السير اليكس فيرغيسون عن تدريب مانشستر يونايتد عام 2013، وتنحّى الفريق منذ ذلك الحين عن زعامة إنكلترا. المركز الثاني في الدوري الذي لم يكن يُرضي الجماهير حينها، أصبح بمثابة الحلم خلال الفترة الأخيرة، وهو ما يعكس الواقع المتخبّط داخل أسوار النادي. تواتر المدربون على الفريق وتواترت الصفقات المختلفة تباعاً، غير أنّ لقب الدوري ظلّ عصيّاً على مانشستر يونايتد. لا خبرة المدرّب الهولندي لويس فان غال نفعت ولا حتى قيمة البرتغالي جوزيه مورينيو الفنية، أمّا دماء النرويجي أولي غونار سولشاير الحمراء فقد ذهبت هباءً مع ضياع النقاط. آخر المشاريع غير الناجحة يقودها حالياً المدرّب الألماني رالف رانغنيك، بانتظار هيكلة مرتقبة فور انتهاء الموسم.

جاء رانغنيك بعقدٍ قصير الأمد على أن يتمّ ترقيته إلى مدير رياضي فيما بعد، وفي ظلّ النتائج المتخبّطة قد تشهد العارضة الفنية للفريق مدرّباً جديداً مطلع الصيف. يُشاع في الوسط الرياضي بأنّ مانشستر يونايتد على وشك التعاقد مع إريك تن هاغ كمدير فني جديد، لكنّ مدرب نادي اياكس امستردام الحالي لن ينضم حتى نهاية الموسم، ما يعني استمرار رالف رانغنيك في منصبه حتى ذلك الحين.

الأمور لا تسير على ما يرام تحت قيادة المدرّب الألماني خاصةً بعد الخسارة «المحرجة» بهدف دون رد خلال نهاية الأسبوع، أمام إيفرتون المهدّد بالهبوط. سوء الأحوال تعكسها إحصائيات «أوبتا»، التي أكّدت أنّ نسبة فوز رانغنيك في الدوري الإنكليزي الممتاز أقل من 50% وهي الأدنى بالنسبة لأيّ مدرّب لمانشستر يونايتد في المسابقة. فاز الفريق بنسبة 47% فقط من مباريات الدوري تحت قيادة رانغنيك. وعلى صعيد المسابقات كافة، يمتلك رانغنيك الإحصائية الأقل مقارنةً بكل مدرب غال، 52,94 ليفيد مويس، 54,17% لأولي غونار سولشاير و58,33% لجوزيه مورينيو. تجدر الإشارة إلى امتلاك مايكل كاريك أعلى نسبة فوز بـ66,67% جرّاء انتصاره بمباراتَين من ثلاث.

> ارقام المدرّب الحالي رالف رانغنيك هي الأسوأ منذ رحيل السير اليكس فيرغسون عام 2013

جاء على مانشستر يونايتد بعد تنحّي السير اليكس فيرغسون عن منصبه، إذ تبلغ نسبة فوز رانغنيك 40,9% مقارنةً بـ50% للمدرّب الأسبق رايان غيغز، 52,43% للمدرّب الأسبق لويس فان غال، 54,17% لأولي غونار سولشاير و58,33% لجوزيه مورينيو. تجدر الإشارة إلى امتلاك مايكل كاريك أعلى نسبة فوز بـ66,67% جرّاء انتصاره بمباراتَين من ثلاث.

يحتل مانشستر يونايتد المركز السابع برصيد 51 نقطة، مبتعداً عن الرابع توتنهام برصيد 6 نقاط. كانت الفرصة سانحة أمام «الشياطين الحمر» للوصول إلى المركز الخامس بعد تعثّر أرسنال في المباراتَين الأخيرتين، لكن مانشستر يونايتد سقط أمام فريق إيفرتون الذي خسر 18 مباراة هذا الموسم في الدوري. لا يزال أمام يونايتد سبع مباريات متبقية، غير أنّ أداء اللاعبين الحالي قد لا يُشركهم في دوري الأبطال الموسم المقبل، وهو ما أكّده رانغنيك بعد الخسارة القاسية أمام إيفرتون حيث قال: «يجب أن يكون اللاعبون متحمّسين للعب كرة القدم في دوري أبطال أوروبا، لكن طالما نلعب مثل اليوم (السبت) فهم لا يستحقون ذلك». تجدر الإشارة إلى أنّ هدف إيفرتون كان رقم 42 الذي استقبلته شباك مانشستر يونايتد في الدوري هذا الموسم، وهو أسوأ رقم لأي من الفرق الثمانية الكبار ونفس رقم بيرنلي صاحب المركز 18.

المعطيات تُشير إلى اقتراب تن هاغ من تدريب الفريق بدءاً من الموسم المقبل. وإذا حصل ذلك، سيحتاج تن هاغ إلى لاعبين جدد ما يجعل الفريق يدور في حلقة مفرغة حيث أثبتت المواسم السابقة بأنّ اللاعبين ليسوا سوى جزء من المشكلة. لعلّ استلام رانغنيك منصباً إدارياً في المستقبل القريب قد يساهم في بداية حل المشكلات، نظراً لمعاينته الأضرار على أرض الملعب. ما هو أكيد، أنّ الهيكلة يجب أن تتم من الإدارة أولاً، وصولاً إلى الجهاز الفني.

حول العالم

اتلتيكو يبتعد عن مراكز دوري الأبطال

بات نادي أتلتيكو مدريد الإسباني يواجه خطر عدم بلوغ دوري أبطال أوروبا الموسم المقبل بعد سقوطه بهدف دون ردّ أمام مضيفه ريال مايوركا في نهاية الاسبوع، ليصبح على بعد نقطة فقط من ريال بيتيس الخامس، والفائز (2-1) خارج أرضه على قادش. وتجمّد رصيد فريق العاصمة عند 57 نقطة في المركز الرابع متساوياً مع برشلونة الثالث الذي خاض مباراتَين أقل منه، وفشل باللّحاق بإشبيلية الثاني الفائز يوم الجمعة الفائت على غرناطة. وبات أتلتيكو مدريد متقدماً بفارق نقطة فقط عن بيتيس الخامس قبل سبع مباريات من نهاية الموسم، علماً أنه يستضيف ريال مدريد في دربي العاصمة في المرحلة 35 وإشبيلية في المرحلة ما قبل الأخيرة. وخاض أتلتيكو اللّقاء مساء يوم السبت وتفكيره في يوم الأربعاء المقبل عندما يستضيف مانشستر سيتي في إياب ربع نهائي دوري الأبطال، بعد خسارته ذهاباً (صفر-1) في إنكلترا.

فيراري في الصدارة

أحرز سائق فيراري شارل لوكلير لقب جائزة أستراليا الكبرى، المرحلة الثالثة من بطولة العالم للفورمولا 1 يوم أمس الأحد، معزّزاً صدارته لترتيب السائقين، فيما انسحب منافسه بطل العالم الهولندي ماكس فيرستابن بسبب مشكلات ميكانيكية. وانطلق ابن إمارة موناكو من المركز الأول محتفظاً بموقعه عند المنعطف الأول، وبقي متصدّراً وأنهى السباق البالغ طوله 58 لفةً بفارق 20 ثانية عن أقرب منافسيه المكسيكي سيرخيو بيريس (ريد بول). وحلّ سائقا مرسيدس اللتي تُعاني هذا الموسم، البريطانيان جورج راسل وبطل العالم سبع مرات لويس هاميلتون في المركزَين الثالث والرابع توالياً. وقال لوكلير بعد فوزه الثاني هذا الموسم والرابع في مسيرته «هذا رائع. السيارة كانت لا تصدّق». وأضاف «بصراحة، يا لها من سيارة. قمت بعمل جيّد نهاية الأسبوع ولم يكن ذلك ممكناً لولا السيارة. أنا سعيد جداً». وحلّ سائقا ماكلارين البريطاني لاندو نوريس والأسترالي دانيال ريكياردو في المركزَين الخامس والسادس.

وفيات ◄

إنا لله وإنا إليه راجعون
بمزيد من الحزن والأسى تنعى إليكم رئيسة جمعية بيت المرأة الجنوبي والهيئة الإدارية، زميلتهم عضو الهيئة الإدارية المربية الفاضلة
ناديا فياض الخطيب
تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جنانه وألهم عائلتها جميل الصبر والرضا بقضاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم
إنا لله وإنا إليه راجعون
بالرضى والتسليم لمشيئة الله تعالى
ننعى إليكم وفاة المرحوم
أبو غالب هاني نجم العريضي
الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس الواقع فيه 2022/4/7، وقد صُلّي على جثمانه يوم الخميس الواقع فيه 2022/4/7 الساعة 2 بعد الظهر.
لكم من بعده طول البقاء.
تُقبل التعازي اليوم الإثنين الواقع فيه 2022/4/11 في دار الطائفة الدرزية من الساعة 11 صباحاً حتى الساعة 5 عصراً. ونظراً للظروف الصحية الراهنة وتماشياً مع توجيهات وزارة الصحة العامة ومشيخة عقل طائفة الموحدين الدروز
وأيضاً تُقبل عائلة الفقيد التعازي هاتفياً على الأرقام التالية:
أبناؤه:
المهندس غالب 03242501
زوجته د. رندا يحيى 03639994
غازي 03306688
زوجته يسرى سلمان 03383750
د. رضوان 03241432
زوجته سفيتلانا انيشينكو 03595570
بسام 70272727
زوجته رولا فرحات 03939180
الأستاذ رسلان 03265036
زوجته جيسي حاموش 03745672
المهندس رياح 03833393
زوجته اكسانا يلوفيتش 03833253
نزار 00966504959963
زوجته رنا إسماعيل
بناته:
أسمى 03639531
زوجها نبيه توفيق العريضي 03547062
ابتسام 03706151
زوجها المهندس زياد نجيب العريضي 03332156
وداد 71570152
زوجها فادي كامل العريضي 03670152
الراضون بقضاء الله وقدره
عموم أهالي بيصور

إنا لله وإنا إليه راجعون
بمزيد من الحزن والأسى تنعى إليكم جمعية بيت المرأة الجنوبي والهيئة الإدارية، زميلتهم عضو الهيئة الإدارية المربية الفاضلة
نادية فياض الخطيب
تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جنانه وألهم عائلتها جميل الصبر والرضا بقضاء الله.

شكر على تعزية

عائلة المرحوم المحامي
عاطف حسين سكينه
تشكر جميع من واساها في مصابها الأليم سواء بالحضور أو بالاتصال أو بإرسال ممثلين، وتتقدم بالشكر العميق لدولة الرئيس نبيه بري ولقيادة حركة أمل ولكل من وزراء الداخلية والخارجية والإعلام والعدل والوزراء السابقين والنواب الحاليين والسابقين وقائد الجيش والمدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان والمفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان، والحاج حسين خليل، وللمقامات الدينية الرفيعة وفي مقدمها مشايخ المياضة الأجلاء وآباء الكنيسة الأوفياء وورثة الإمام الحسين من أصحاب العمامات السوداء والبيضاء والهيئات القضائية والديبلوماسية والأمنية والعسكرية والإدارية وطاقم السفارة الأميركية في بيروت، ونقيب الأطباء والمحامون الكرام ورؤساء مجالس البلديات والمخاتير والفعاليات الاجتماعية والثقافية، وبالشكر الخاص لأهالي بلدة بلاط، ولمنطقة مرجعيون – حاصبيا بشكل عام.

إعلانات رسمية ◄

إعلان
تبليغ صادر عن دائرة تنفيذ حاصبيا في المعاملة التنفيذية أساس 2019/15
المنفذان: أمين وكمال سعيد خير
تدعو هذه الدائرة المنفّذ عليه جوزيف أسعد الشملاتي المجهول محل الإقامة للحضور إلى قلم هذه الدائرة بالذات أو بواسطة وكيل قانوني لتبلغ أوراق هذه المعاملة بموضوع تنفيذ حكم مدني قرار رقم 2003/39 تاريخ 2003/12/20 وذلك خلال عشرين يوماً من تاريخ النشر مضافاً إليها ستين يوماً مهلة مسافة واتّخاذ محل إقامة ضمن نطاق هذه الدائرة وإلا اعتبر قلمها مقاماً مختاراً ويجري تبليغه بواسطة رئيس القلم حتى القرار النهائي.
رئيس القلم
أسامه أبوكمر

سينما

ريتشارد لينكليتر على متن «أبولو 11»: رحلة الحنين

«أبولو 10 ½: طفولة في عصر الفضاء» (2022) قنبلة من الماضي، تحتفل بعام 1969 وبالأطفال الذين عايشوا تلك الحقبة.

اشتهر لينكليتر، مخرج Before Trilogy بأفلامه الحميمة التي يحتدم فيها الحنين إلى الماضي. مع ذلك، نعرف مدى شمولية هذا المخرج الذي صوّر فيلم BoyHood على مدى 12 عاماً. في فيلمه الجديد Apollo 10 ½: A Space Age Childhood، يرسم ببراعة لحظات ذاكرته الصغيرة العاطفية التي يستحوذ عليها تحوّل تاريخي وتكنولوجي ضخم. يحكي الشريط قصة أول هبوط على سطح القمر في صيف 1969 من وجهتي نظر: وجهة نظر «ناسا»، وتلك الخاصة بطفل من هيوستن لديه أحلامه الخاصة بين المجرّات. يستمد لينكليتر الإلهام

> يقدّم لمحةً ثقافية وسياسية عن الحياة في أميركا الستينيات

من طفولته، ليقدّم لمحةً عن الحياة في أميركا الستينيات. وُلد لينكليتر عام 1960، ما يجعله في عمر ستان (ميلو كوي). لذلك الفيلم هو سيرة ذاتية، مبنية على أحلام وذاكرة وأحداث حقيقية. يروي الفيلم قصة ستان في سنوات السباق الفضائي بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، كما تفاصيل حياته اليومية: عائلته، جيرانه، موسيقى ذلك الوقت، السينما، خصوصاً أفلام الخيال العلمي، والثقافة الشعبية، والبرامج التلفزيونية، والألعاب، والمدرسة، وأيضاً القضايا السياسية، وحرب فيتنام، وحركة الحقوق المدنية التي بلغت ذروة نضالها في الستينيات. بالإضافة إلى ذلك، يحتفظ ستان بسرّ: لقد تمّ إرساله إلى القمر قبل

A Space Age :½ 10 Apollo Childhood على نتفليكس

ستريمينغ

محمد صالح هارون: صرخة أفريقيا المكتومة

يكتبها **شفيق طبارة**

أفريقيا هي أرض الثورات السياسية، والنضال من أجل الاستقلال، والحروب القبلية. وإذا كانت سينما السنغالي عثمان سيمبين، علّمتنا أنّ الهوية الفردية في تلك القارة، تتكوّن من الصمت والعزلة على خلفية الاضطرابات السياسية الكبيرة، وأنّ الصحراء هي حلقة الوصل بين الإنسان والأفق، الذي يتّسع ويعمي البصر وتنطفئ فيه آمال المستقبل تدريجاً... فإنّ سينما التشادي محمد صالح هارون، هي سينما ذات دقّة عميقة وفهم إنساني. إنها السينما السياسية الأكثر هدوءاً ويأساً. في ركودها، تتّضح أزمات الفرد الوجودية. سطح هادئ مخادع وكاذب تدحضه توتّرات متصاعدة من الغضب والكآبة، بينما يؤرّخ المخرج الصراع السياسي المستمر في بلاده، الغنيّة ثقافياً وحضارياً، من خلال قصص أشخاص عاديّين يواجهون خيارات أخلاقية مؤلمة. من هذه الإشكاليات، يتوسّع ليُقارب التفكير الاستعماري والسياسي في بلده التشاد.

على الرغم من أنّ هارون ملقّب بـ «إيراني السينما الأفريقية»، وأفلامه تقارن بسينما عباس كيارستمي ومحسن مخملباف بسبب أسطحتها الهادئة المخادعة، إلّا أنه ينتمي بشكل أساسي إلى تقليد أفريقي في صناعة الأفلام يمتد من عثمان سيمبين مروراً بالموريتاني عبد الرحمن سيساكو، وصولاً إلى السينما الأفريقية ما بعد الاستعمار.

محمد صالح هارون، ضيف دائم على «مهرجان كان السينمائي». في عام 2010، حصد جائزة التحكيم عن فيلمه «رجل يصرخ» الذي طُرح أخيراً على منصّة MUBI. فيلم يروي بحميمية صادقة قصة خراب بلد ورجل. قصة أب وابنه. آدم عثمان (يوسف دجاورو) الملقّب بالبطل، أب عاش من السباحة التي جعلته رياضياً مشهوراً في أنحاء البلاد. اليوم، يعمل كمدرّب ومسؤول عن بركة السباحة في فندق فخم. يبدأ الصراع مع الاضطرابات السياسية والأمنية التي تهزّ البلاد، وقرار مديرة الفندق الجديدة بنقل آدم ليُصبح حارس البوابة، وتعيين ابنه عبدول عثمان (ديواك كوما) مكانه. القسوة البيئية لبلد في أزمة أبدية، والخوف على وظيفة على وشك أن يخسرها، يدفعان آدم لاتخاذ قرار مصيري.

الحرب عمّت الأرجاء كلها، صوت الطائرات يُسمع فوق الرؤوس، أخبار الإذاعة تتعلّق فقط بالمقاتلين القادمين وباللاجئين الفارين إلى بلاد مجاورة. هارون غير مهتم بمشاهدة الحرب الكبيرة. هو فقط مهتم باستحضار التفاصيل الصغيرة. يفعل ذلك بنبرة خافتة، بصرخة يكتمها رجل ناضج اتخذ قراراً سيئاً. رجل يصرخ داخل نفسه، منغلق تماماً يلتهمه الشعور بالذنب حرفياً، ولا شيء واضحاً على وجهه، تماماً كالحرب التي نشعر بها في الفيلم عبر الضوضاء فقط. كما لو أنّها تظهر لنا الحالة المروعة لشعب اضطر منذ فترة طويلة لعدم الصراخ لأنه عاجز عن الرد وإنهاء كل هذا البؤس. كل طريق مسدود، المسلك الوحيد المفتوح هو الهاوية. آدم والآخرون ليس لديهم أسلحة، لكنهم يقاتلون أنفسهم بحزن شديد. صرخة آدم مصيرها أن تظل غير مسموعة، لأنها مخنوقة من الداخل. هارون ابتكر سينما داخلية، إيقاعاتها تتناغم مع الصمت الذي يولد كصرخة كريمة وهادئة، لكن بعد ذلك، يتحوّل تدريجاً إلى يأس لا يمكن السيطرة عليه. «رجل يصرخ» هو صورة الرجل الذي وجد نفسه الجاني الوحيد في بيئة من الأبرياء، خالف القوانين، لذلك هو يصرخ، بعد فوات الأوان، على فداحة خطئه.

ميزة فيلم هارون هي الدقة التي يجلب بها العاطفة إلى الشاشة. يطلب منّا الصبر لنرى تطوّر القصة والتغيير التدريجي للشخصيات. لا نشاهد الصراعات والهموم والاحتياجات الوجودية بشكل مباشر، لكنها تنعكس على العيون لوهلة أو ثانية.

> سينما ذات دقة عميقة وفهم إنساني

هذا ما يجعلنا متلصّصين على قصة الأب وابنه التي تمس المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في بلاده. «رجل يصرخ» فيلم مؤلم، وفي النهاية يتركنا هارون مع جملة «شاعر الزنجية» إيمي سيزير: «الرجل الذي يصرخ ألماً، ليس دباً يرقص». كما في أفلامه كلها، رفض هارون تصوير البلاد وبؤسها بطريقة مباشرة، لأن الفقر والوحشية والموت بالنسبة إليه، ليست ألعاباً في سيرك!

A Screaming Man على MUBI

وقفة

عن التهمة التي يواجهها أصغر فرهادي ومخرجون كثيرون

سرقة الأفكار في السينما... باطلة باطلة!

لن يكون المخرج الإيراني أصغر فرهادي الأخير الذي يُتهم بسرقة الأفكار. مخرجون كثر قبله واجهوا التهمة إياها، وليس آخرهم غييرمو ديل تورو عن فيلمه «شكل الماء» (2017) وقبله جايمس كاميرون (أفاتار)، وسيرجيو ليوني (a fistful of dollars) وحتى أفلام «حرب النجوم» وأفلام «ديزني».

خلال الأسبوع الماضي، ضجّ الإعلام بخبر إدانة فرهادي بسرقة فكرة فيلم «بطل» (2021 ـ جائزة «كان» الكبرى) بعد دعوى رفعتها عليه إحدى طالباته السابقات، مدّعيةً أنّ مخرج «انفصال» سرق فكرة فيلمه من وثائقي أنجزته خلال إحدى الورش السينمائية. رفعت أزاده مسيح زاده دعوى بعدما كان فرهادي رفع بدوره دعوى قضائية عليها بتهمة التشهير. وفي الحالتين، حكمت المحكمة لصالح مسيح زاده. على أن تُحال القضية إلى قاضٍ ثانٍ سيقرّر ما إذا كانت ستتم إدانة فرهادي أم لا.

بعيداً عن التعريف القانوني لأصناف السرقات الأدبية والفكرية والفنية، وعن الحكم القضائي الأخير المُنتظر في هذه القضية، كما بعيداً عن «الشرعية والحصانة» اللتين يتمتع بهما فرهادي، بحكم موقعه المكرّس في المشهد والمحافل السينمائية، ما قد يجعله في موقع قوّة ربما أكثر صدقيةً للعموم، دعونا نتوقّف عند سؤال أساسي في مقاربة هذه القضية: ماذا تعني سرقة الأفكار في السينما؟ إنّها تهمة غير منطقية إن لم نقل لا معنى لها! السينما تقلّد، تمزّق، تنسخ... لكنّها لا تسرق الأفكار لسبب بسيط هو أن الأفكار في السينما لا قيمة ولا معنى لها. كلّنا يشعر عند مشاهدة فيلم، بأنه يأخذنا إلى ذاكرة ما، أو يحيلنا، كلّ حسب مخزونه المعرفي والثقافي، إلى تلك القصة أو هذه اللوحة أو هذه الفكرة. في الواقع، يستحيل كتابة نص، من دون أخذ شيء من ذاكرتنا المخزّنة جزئياً في عقلنا التي طوّرها الإنسان منذ أن طوّر القدرة على التواصل. تعدّ السينما أحد أكثر أشكال الفن عرضة للتناص، لأنّ طبيعتها المتعدّدة التخصّصات، توحّد الرواية والمسرح والتصوير والرسم والموسيقى... يشكل التناص بالنسبة للفن السابع، دعامةً يقوم عليها. هذه الدعامة بُنيت في وقت قصير، لكنّها تطورت بسرعة كبيرة نظراً إلى قدرة السينما على احتواء الفنون الأخرى. لم تكن سرقة الأفكار يوماً مصدر قلق كبيراً، لأن الثقافة السينمائية تعتبر ملكية جماعية. لذلك، لا يتم قبول التقليد فقط، لكن حتى سيتم تشجيعه. لم يتحقق المجد على الشاشة الكبيرة بالأفكار أو القصص وحدها، بل بطريقة التعبير عنها من وجهة نظر خاصة بكل مخرج، حتى لو كانت متطابقة. فالأصالة هي نظرة الشخص إلى الأشياء والأفكار وما يصنعه منها.

«لا شيء أصلياً. اسرق من أي مكان يلهمك أو يغذي خيالك. التهم الأفلام القديمة والجديدة والموسيقى والكتب واللوحات والصور والقصائد والأحلام والمحادثات العشوائية والعمارة والجسور وإشارات الشوارع والأشجار والسحب والمسطحات المائية والنور والظلام. حدّد فقط الأشياء التي تريد سرقتها، والتي تتحدّث مباشرة إلى روحك. إذا قمت بذلك، فسيكون عملك (والسرقة) أصلياً. الأصالة لا تهتم بإخفاء سرقتك. احتفل بها إذا كنت ترغب في ذلك. على أي حال، تذكّر دوماً ما قاله جان لوك غودار: لا يهمّ من أين تأخذ الأشياء، بل إلى أين تأخذها». هذا ما يقوله جيم جارموش. لذلك السينما هي أداة لبناء شيء مختلف. الأصالة إنما تكمن في القدرة على مزج الموضوعات إلى حدّ تحويلها إلى شيء صلب ومتجانس. القدرة على معرفة كيفية استلهام و«سرقة» الأفكار الموجودة من دون فقدان الطريق، وإلى أين نريد أن نأخذها، وتجديد أفكار الماضي والحاضر من خلال تمريرها على أنها شيء جديد. هذا هو الأساس المنطقي والنظري لإعادة إنتاج أفلام تقوم على الأفكار نفسها. الخيال السينمائي إذن ليس سوى غرفة صدى تكرّر القصص نفسها وفقاً للزوايا والمعايير والنظرة الشخصية والمكان والوقت. وهذا ليس إجراماً ولا دليلاً على قلة الإبداع، إنه غرض الفن ومؤشر إلى الثراء السينمائي والثقافي والتاريخي.

قبل سنوات، اتّهم جان بيار جوني مخرج فيلم «أميلي» (2002)، المخرج غييرمو ديل تورو بالسرقة. وعندما واجه جوني ديل تورو شخصياً بمزاعمه، ذكّره ديل تورو بأن كلاهما مدينان إبداعياً لتيري غيليام، وفيلمه «برازيل» (1985). قال ديل تورو: «لا يمكنك امتلاك زيد البحر، أيها الأحمق». الفردية في السينما تتعلّق فقط بالقدرة على احتواء الفكرة وتقديمها بطريقة إبداعية. بحسب لازاده مسيح زاده أنها وجدت الفكرة وصنعت منها وثائقياً قصيراً بعنوان All Winners, All Losers ولكن يُحسب أيضاً لفرهادي أنه حوّل هذه القصة الحقيقية إلى فيلم روائي، مستخدماً أسلوبه السينمائي الخاص لتقديم الفكرة بطريقة مؤثرة. وهذا دور المبدع السينمائي الذي يعرف التقاط الأفكار وتقديمها من وجهة نظره الخاصة، وبطريقته. لذلك تعد استعارة الأفكار وإعادة ترتيبها وتقديمها جزءاً أساسياً من السينما. وعلينا دوماً التنبّه أن هناك فرقاً كبيراً بين الفكرة والقصة من جهة وبين السيناريو من جهة أخرى. وهناك الآلاف من الأفلام لمخرجين كبار مستوحاة من أفلام وثائقية.

واجه غييرمو ديل تورو تهمة السرقة في فيلمه «شكل الماء»

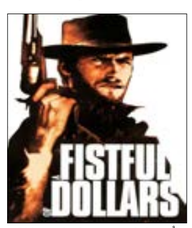

اتّهم فيلم سيرجيو ليوني «حفنة دولارات» بأنه مسروق من فيلم Yojimbo لاكيرا كوروساوا

«بطل» لأصغر فرهادي

الأخبار
al-akhbar
الإثنين 11 نيسان 2022 العدد 4607

موسيقى

«بيروت ترنّم» في زمن الفصح أيضاً

بشير صفير

«بيروت ترنّم» مهرجان موسيقيّ اتخذ لنفسه إطاراً محدّداً منذ انطلاقه: زمن الميلاد. تحت هذا العنوان، بنى شخصيّته على مدى 14 دورة. ويمكن القول إنه بصموده في ظلّ الهشاشة اللبنانية العامة، راكم بعض العراقة والصّيت الحسن لدى الجمهور، من الناحية الفنيّة كما لناحية مجّانية أمسياته. اليوم، يقوم المهرجان بخطوة رمزية، تُبقيه ضمن إطاره العام لكنها توسّع آفاقه لتطال المناسبة الأهم، إلى جانب الميلاد، في الروزنامة الليتورجية لدى الطوائف المسيحيّة: الفصح. مساء اليوم، تُقام أمسية وحيدة في «كنيسة القديس يوسف» (مونو/ الأشرفية) ببرنامج يتمحوَر حول هذه المناسبة ويُقسم إلى شقّين: الإرث الكلاسيكي الغربي والإرث الشرقي.

تحت عنوان «الفصح في الموسيقى ـ رحلة من تقاليد حقبة الباروك الغربية إلى التقاليد المارونية الشرقية»، يقود الأب توفيق معتوق «أوركسترا الحجرة لبيروت ترنّم» (أعضاؤها من الأوركسترا الوطنية بشكل أساسي) و«جوقة الجامعة الأنطونية»، بالإضافة إلى الإنشاد المنفرِد الذي يتولاه ميرا عقيقي (سوبرانو)، غرايس مدوّر (ميزو-سوبرانو)، شارل عيد وبشارة مفرّج (تينور) وسيزار نعيسي (باريتون).

البرنامج هو من النوع الذي لا يُفَوَّت لمحبّي الموسيقى بشكل مجَرَّد كما للمؤمنين. وإذا أخذنا في الاعتبار الشحّ الفنّي الذي نشهده حالياً (فضلاً عن مؤشرات تفاقمه مستقبلاً)، ترتقي الأمسية إلى مستوى الضرورة الحيوية. في الجزء الأول من الأمسية، نسمع عملَين أساسيَّين. الأول هو الـ«ستابات ماتر» الأشهر في تاريخ الموسيقى، أي ذاك الذي وضعه المأسوف على شبابه، المؤلف الإيطالي بيرغوليزي (1710ـ1736) والمبني على

تتولى أصوات عدة الإنشاد الفردي، من بينها ميرا عقيقي

الصلاة الحزينة التي تصف معاناة مريم العذراء أثناء صلب يسوع الناصري، ابنها الوحيد. حتى لو جرّدنا هذه الحقيقة التاريخية من كلّ أبعادها الدينية، يبقى حجم الألم عظيماً في المطلق. وهذا ما استطاع ترجمته بيرغوليزي، مستنداً ربّما إلى معاناته الشخصية مع مرض السلّ الذي كان يتحضّر للإجهاز عليه أثناء عمله على هذه التّحفة. يحتوي الـ«ستابات ماتر» على مجموعة من المقاطع الإنشادية، يتولّى أداءها منفردتَين حيناً ومجتمعتَين حيناً آخر السوبرانو والألتو (أو الميزو ـ سوبرانو)، وليس فيها إنشاد جماعي. علماً أنّ في برنامج الأمسية تمّت الإشارة إلى مشاركة الجوقة (ربما هناك توليف لبعض المحطات). لمحبّي المعلّم الألماني باخ، نذكر أنّ الأخير أعجِبَ بهذا العمل وتبنّاه مُوَلفاً موسيقاه (مع بعض التعديلات) على نَصّ مختلف (رقم العمل في كاتالوغ باخ هو BWV 1083). هنا نصل إلى النواة الثانية للقسم الأول من البرنامج وهو الكنتاتا الشهيرة Ich Habe Genug (لقد اكتفَيت/ BWV 82). عندما ألّف باخ هذا العمل (عام 1727 ـ والمناسبَة ليست الفصح، لكن حزن الآريا الافتتاحي يجعلها مناسِبة له) كان قد راكم خبرةً تُقاس بعشرات الأعاجيب من هذه الفئة (أو من فئة الموسيقى الإنشادية عموماً) بعد أربع سنوات من تولّيه منصبه كمرشد موسيقى عام في لايبزغ الألمانية. نجد هذه الكانتاتا بصوت آلتو (أو كونتر تينور) أو باريتون (أو باص) أو سوبرانو، وهنا نسمعها في نسختها الأكثر رواجاً التي يتولّاها الباريتون سيزار عنيسي (نُشير إلى أنها لا تتطلب لا مغنيّين آخرين ولا غناءً جماعياً، بخلاف معظم كانتاتات باخ). في الجانب الغربي، نسمع مقتطفات لبيرغوليزي أيضاً وكذلك لدونيزيتّي، لكنها لا تنافس العملَين المذكورين أعلاه.

في الجانب الشرقي لهذه الأمسية المخصّصة للفصح (للآلام تحديداً)، نجد الثوابت التي تُعدّ إعجازاً في التعبير والحزن والجمال من ريبرتوار ترانيم الجمعة العظيمة مثل «أنا الأم الحزينة» و«وا حبيبي» (في الإعداد الذي يحمل توقيع الراحل توفيق سكّر)، بالإضافة إلى عناوين أخرى من تلحين الأب جوزيف واكد والأب بولس الأشقر (إلهي لماذا تركتني، أمر الربّ مستقيم...)، يتخلّلها إنشاد منفرِد وجَماعي.

«بيروت ترنّم»: أمسية إنشاد ديني خاص بالفصح ـ الثامنة والنصف من مساء اليوم في «كنيسة القديس يوسف» (مونو/ الأشرفية). الدعوة عامة.

على بالي

أسعد أبو خليل

في الانتخابات مع: المبدئيّة والمقاومة والمرح والفرح والرقص والمجون والدّفاع والثورة (مش «ثورة» لبنان، دخيلكم) والكرامة والعنفوان والنسويّة والمثليّة والتأميم والاشتراكيّة والقرصنة والعروبة وغسان كنفاني و«جبهة الرّفض» وشربل نحّاس (قبل الانتفاضة) وجورج حبش في وجوده اللّبناني. مع المقاطعة والرّفض والابتعاد والقسوة والصرامة السياسيّة. مع الانتخابات النسبية ولبنان دائرة انتخابية واحدة ومع حظر ذكر طائفة الفرد في لبنان. مع النظام الإداري المركزي ورفض كلّ مشاريع اللامركزيّة مهما كانت أشكالها. مع عروبة لبنان على أن تكون العروبة ضدّ عروبة طُغاة التطبيع. مع إعلام مجلّة «الهدف» وضدّ إعلام «الجديد» الذي بات أسوأ أنواع الانتهازيّة والتلوّن والحربائيّة واللامبدئيّة في السياسة والعقيدة. مع الناصريّة لا مع الساداتيّة. مع المرشّح موسى شعيب الذي أفنى عمراً قصيراً في محاربة الإقطاع في الجنوب.

ضدّ: كلّ الأنظمة العربيّة والإعلام الجديد «المستقلّ» و14 آذار و«الثوّار» (في لبنان فقط). ضدّ الذين يظنّون أنه بمجرّد أنّهم ليسوا من أحزاب السلطة، فهذا دليل على أنّهم أفضل من السلطة والبعض منهم أسوأ بكثير (أدوات شينكر مثلاً). ضدّ كلّ الذين يخوضون الانتخابات بالنيابة عن إسرائيل (لا، لا يعني هذا أنّ كلّ من يُعارض حزب الله هو بالضرورة من أدوات إسرائيل لكن هناك أدوات لإسرائيل بالفعل). ضدّ كل من يخوض الانتخابات ولديه من المال أكثر ما يكفي لإطعام عائلة واحدة. ضدّ كل مرشّح أو مرشّحة يحمل جنسيّة بلد غير لبنان. ضدّ كلّ من يخوض الانتخابات وهو خرّيج جامعة غير حكوميّة. ضدّ ترشيح وانتخاب المغتربين لأنّ ليس لديهم فرص الاقتراع الحرّ بوجود قوانين غربيّة تمنع تأييد أحزاب تؤيّد مقاومة إسرائيل. ضدّ فؤاد المخزومي وكلّ الذين يُمارسون الجمباز السياسي إمّا مقابل الرشوة أو طمعاً بمنصب سياسي. ضدّ التحالف بين مقاومة وفساد وبين نسويّة وسلالات الخليج وبين إعلام وطغاة وبين عروبة ومعادي العروبة التاريخيّين وبين خطّ السنيورة وأسامة سعد وبين الشيوعيّة والليبرالية ـ أو بين الشيوعيّة والكتائب. ضدّ التدخّل الأميركي الصفيق في كلّ شؤون لبنان وكلّ دولة عربيّة. ضدّ الديموقراطية في البلد النّامي.

المفكرة

جيم هاريسون: العودة إلى الجوهر

■ «وحدها الأرض أزلية» عنوان شريط وثائقي يُعرض يوم الخميس المقبل في «صالة مونتاني» في «المعهد الفرنسي في لبنان». شريط يتناول إحدى أبرز التّجارب الشعريّة والأدبية في أميركا. إنّه جيم هاريسون (1937 ـ 2016 ـ الصورة) الروائي والشاعر والقاص، الذي أنجز حوالى 24 نوفيلا، اثنتان منها انتقلتا إلى الشاشة الكبيرة، إحداهما هي «أساطير الخريف». رغم نجاحه التجاري والنقدي الواسع، ظلّ هاريسون هاجساً بالإبداع، هو الذي قال: «إنّ حلم إنجاز قصيدة جيدة، ونوفيلا جيدة، أو حتى فيلم جيد، ابتلع حياتي كلّها». وثائقي «وحدها الأرض أزلية» (ساعة و52 دقيقة ـ 2021)، يأخذنا فرنسوا بونيل وأدريان سولان إلى قلب مونتانا، حيث هاريسون يحدّثنا عن حياته التي عاشها إلى الملأ، كما يكشف عن تاريخ آخر لأميركا. من خلال هذه الوصية الروحية والفرحة، يدعونا إلى العودة إلى الجوهري من الأشياء والحياة، والعيش بتناغم مع الطبيعة. يلي العرض حوار مع أدريان سولان.

عرض «وحدها الأرض أزلية»: س:20:00 مساء 14 نيسان ـ «صالة مونتاني» في «المعهد الفرنسي في لبنان» (بيروت) ـ للاستعلام: 01/420200

تنذكر تما تنعاد

■ في الذكرى السابعة والأربعين للحرب الأهلية اللبنانية، تُقيم «جامعة القديس يوسف» ندوة بعنوان «الكتابة في خدمة الذاكرة: لا وجود للواقع إلّا إن كان هناك من يرويه». يشارك في الجلسات كاتبات وكتّاب يتحدثون عن تجارب كتابات سردية تستند إلى الذاكرة والواقع. هكذا، تتحدّث هيام يارد (الصورة) عن عملها «انفجارات»، وشريف مجدلاني عن كتابه «بيروت 2020: يوميات انهيار»، وديان مظلوم عن كتابها «المتحف الوطني»، وكارولين طُربيه عن عملها «بريق حياة»، وكاميل عمون عن كتابه «أكتوبر لبنان»، ولمياء زيادة عن عملها المصوّر «مرفأ بيروت خاصتي»، ويتولى إدارة اللقاء مدير معهد العلوم السياسية في الجامعة كريم إميل بيطار.

«الكتابة في خدمة الذاكرة: لا وجود للواقع إلّا إن كان هناك من يرويه»: س: 18:00 عصر الأربعاء 13 نيسان ـ «جامعة القديس يوسف» ـ معهد العلوم السياسية (طريق الشام ـ بيروت). للاستعلام: 01/421443

تعلّموا أصول التحريك

■ يتواصل «برنامج عوافي» الذي ينظّمه «بيت أطفال الصمود» في مركز مار الياس (البقاع اللبناني)، بالتعاون مع «منصّة التحريك للشباب» في تقديم ورشة عمل تحت عنوان «تحريك II». تتناول الأخيرة فنون وأدوات الرسوم المتحرّكة وتقنيات وقف الحركة. وسيتعلّم المشاركون جميع العناصر الضرورية اللازمة لصناعة مقطع رسوم متحرّكة قصير، بما في ذلك كتابة القصة وبناء المجموعة وصنع الشخصيات والرسوم المتحركة. علماً أنّ الورشة بدعم من «الصندوق العربي للثقافة والفنون ـ آفاق».

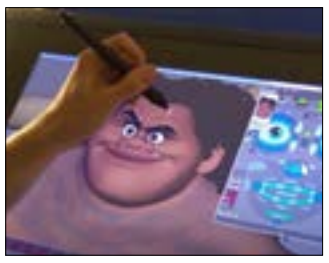

ورشة للرسوم المتحرّكة وصناعة الشخصيات: 14 و15 نيسان ـ «بيت أطفال الصمود» (مار الياس ـ البقاع)- للاستعلام: 01/859076

جولة على معالم بيروت

■ تنظّم مبادرة «تجوال بديل في بيروت» جولة تتبّع الخط الأخضر في بيروت كلّ نهار أحد. تنطلق الجولة من المتحف الوطني وصولاً إلى «متحف عصور ما قبل التاريخ». تُقام الجولة سيراً على الأقدام على طول الخط الأخضر وحول منطقة مونو، وتجري خلالها مناقشة العديد من القصص من تاريخ الحرب الأهلية إلى جانب تناول ذاكرة المعالم الأثرية والمعمارية. فقد تعرّضت الكثير من المباني المجاورة للخط الأخضر لأضرار بالغة أثناء الحرب. كما تستكشف الجولة تاريخ المحلات التجارية المحلية وبعض المواقع غير المعروفة لكثيرين.

جولة على الخط الأخضر: 10:30 صباح الأحد 17 نيسان ـ «المتحف الوطني» في بيروت ـ للاستعلام: 76/730732

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
**أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور**

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963
/AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
**شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03**
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الإثنين 11 نيسان 2022 العدد 190
Lundi 11 avril 2022 no190

الأخبار

رأس المال

في العدد

02
أديب نعمه
تقرير إحصائي أم دراسة عن الفقر؟

04
عمّال لبنان قبل الانهيار

06
زياد حافظ
الرأسمالية الريعيّة الأميركيّة إلى أين؟

07
ماهر سلامة
مواجهة هيمنة الدولار

08
عبد الحليم فضل الله
الولادة الجديدة لمجتمع الاستهلاك

سلع مصدّرة إلى الخارج قبل الإنهيار وبعده (مليون دولار)

السيارات

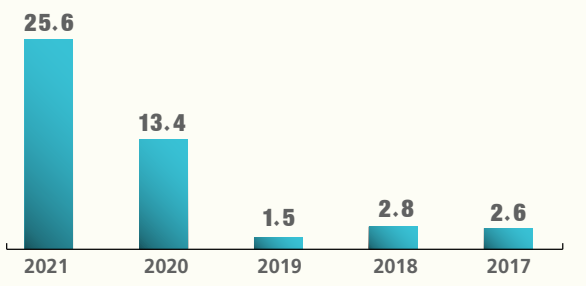

سبائك ذهب

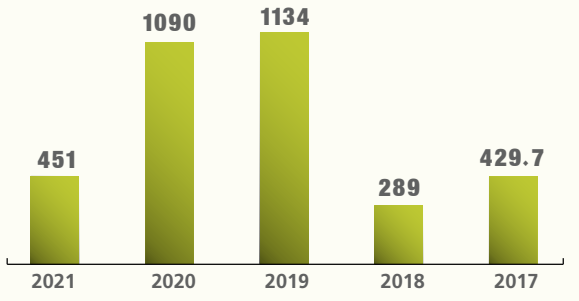

مشتقات نفطية

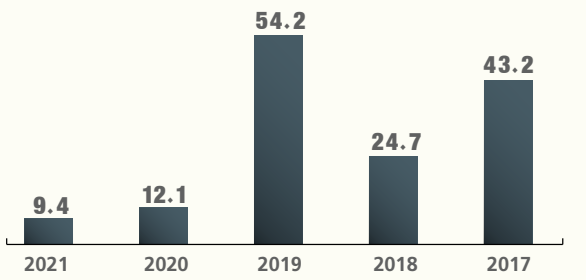

سلّة مختارة من الأغذية

أرز، سكّر، ذرة، شعير، شاي، ضأن

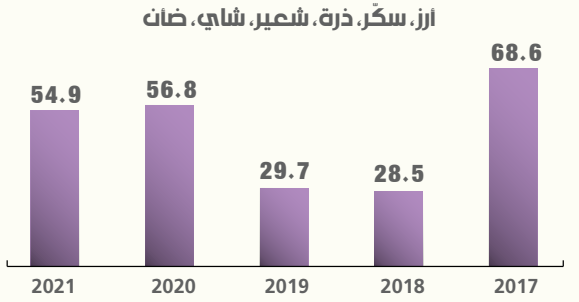

منتجات صيدلية

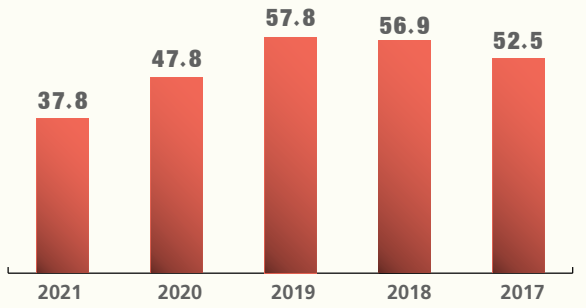

التغير السنوي للإحتياطات
وتطور قيمة التحويلات المالية (مليون دولار)

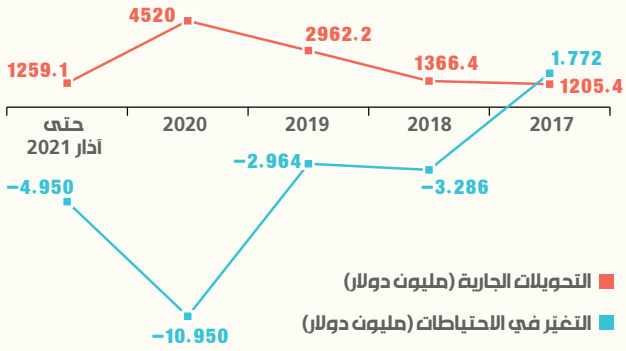

المصدر: الجمارك اللبنانية، مصرف لبنان

تهريب السلع والأصول

أي قانون لـ«كابيتال كونترول» لا بدّ أن يلحظ السيطرة على التصدير والاستيراد إضافة إلى القيود على الحسابات المصرفية. بخلاف ذلك، فإن عمليات التهريب ستتواصل بالوتيرة نفسها التي كانت جارية سابقاً، وهنا مجرّد عينة منها

ما خسره لبنان بسبب عدم إقرار قانون «كابيتال كونترول» منذ اليوم الأول للأزمة، ليس فقط تهريب الأموال واستنزاف احتياطات مصرف لبنان بالعملات الأجنبية، بل سمح ذلك بتهريب السلع الضرورية، والأصول التي سُدّد ثمنها مسبقاً بدولارات الاحتياطات. هكذا أصبحت الخسارة على مستويين: كمّي، ونوعي. فالخسارة في كمية الأموال المتوافرة لدى لبنان أو تلك التي تعرف باسم «الاحتياطات بالعملات الأجنبية»، أتت مع خسارة في كميات من السلع الأساسية والأصول التي أعيد تصديرها أو جرى تهريبها إلى الخارج عبر عمليات التصدير. ففي الفترة ما بين مطلع 2019 ونهاية 2021، انكمشت احتياطات مصرف لبنان بالعملات الأجنبية بقيمة 18,8 مليار دولار. وحتى الآن، لم تطلب الحكومة، ولم يصدر أي رقم رسمي يوضح أين أُنفقت هذه الأموال وحقيقة الحاجة إلى إنفاقها، لكن ما بات معروفاً هو أن قسماً منها موّل عمليات تهريب الدولارات مباشرة وبشكل واضح عبر التحويلات إلى الخارج، وقسم آخر موّل عمليات تهريب مقنّعة من خلال استيراد سلع أو خدمات أو أصول كانت تسمّى بـ«المدعومة»، وقسم استعمل لتمويل استيراد السلع والخدمات التي استهلكها اللبنانيون خلال هذه الفترة، أي الإنفاق الحقيقي الذي كان يمكن الاكتفاء به. لكن إضافة إلى ذلك، فإن عمليات التهريب التي لا تظهر في أرقام الاحتياطات، هي الناتجة من تهريب السلع والأصول إلى الخارج عبر عمليات التصدير، وهنا لا يعود الأمر متعلقاً فقط بكمية الأموال المهرّبة، بل بنوعيتها باعتبارها حاجة أساسية للاستهلاك المحلّي.

في هذا المجال تحديداً، يمكن القول إن ضرورة وجود «كابيتال كونترول» كانت ستخفف من عمليات التهريب التي حصلت. فإلى جانب الاحتياطات بالعملات الأجنبية، هناك بعض الفئات التي يمكن إدخالها ضمن قاموس تهريب الأموال عبر القنوات الشرعية (هناك قنوات كثيرة غير شرعية مثل الساعات التي يمكن نقلها شخصياً أو حتى نقل الأموال النقدية...)، مثل تصدير المواد الغذائية، سبائك الذهب، المشتقات النفطية، الأدوية، والسيارات.

على افتراض أن لبنان ليس منتجاً للأرز والسكر والذرة والشعير والخواريف والشاي، فإن صادراته من هذه السلع في أيام العزّ (2017)، أي حين كان مجمل الواردات يوازي 6 أضعاف الصادرات، بلغت 68 مليون دولار. ومع ظهور الأزمة انحسرت صادرات هذه السلع إلى نحو 30 مليون دولار في 2018 و2019. لكن مع بدء الدعم في 2020 وصولاً إلى 2021، ازدادت قيمة الصادرات هذه إلى 56 مليون دولار و54 مليون دولار بينما كان مجمل الواردات يوازي نحو 3 أضعاف الصادرات. هذا المؤشّر مهم على تهريب السلع الضرورية والأساسية.

كذلك، شهد لبنان خلال السنتين الأخيرتين نشاطاً ملحوظاً في حركة تصدير سبائك الذهب. ففي عامي 2019 و2020 صدّر لبنان نحو 35 ألف سبيكة ذهب بقيمة تفوق 2,23 مليار دولار، مقارنة مع صادرات بقيمة 719 مليون دولار لنحو 16,3 ألف سبيكة. تهريب الأموال عبر تصدير سبائك الذهب هو أمر شائع، إذ إن الكثير من الناس الذين أتيح لهم سحب قسم من أموالهم نقداً بالدولار، أو سحبها شيكات وشراء سبائك ذهب مقابلها، باعوا هذه السبائك إلى الخارج وسدّد الثمن في أرصدته المصرفية في الخارج، سواء كانوا تجّاراً أم أفراداً. لكن هذا الأمر لا ينطبق على ما حصل في 2021، إذ إنه مع ارتفاع سعر الدولار في السوق الحرّة، ومع الجنون الذي سيطر على إدارة الأزمة في هذه الفترة وتوقف الدعم، نحا كثير من اللبنانيين أو المقيمين في لبنان لشراء السبائك وحفظ قيمة أموالهم، إذ بلغ حجم الاستيراد نحو 665 مليون دولار لنحو 6,8 ألف سبيكة.

السيارات كانت هي أيضاً إحدى الأدوات المستعملة لتهريب الأصول. ففي عام 2017 كان تصدير السيارات ضمن حدود متدنية مسجلاً 2,6 مليون دولار واستمرّ كذلك في السنتين التاليتين، لكن بحلول نهاية 2020 سجّل ارتفاعاً بنسبة تفوق 5 أضعاف ليصدر 13,4 مليون دولار، وفي 2021 صدر لبنان بقيمة 25,6 مليون دولار.

ورغم الحاجة الملحّة للأدوية، فقد صدّر لبنان بقيمة 47,9 مليون دولار في 2020 و37,8 مليون دولار في 2021، واستمرّت وزارة الطاقة بمنح التجّار إجازات تصدير للمشتقات النفطية إلى الخارج.

2

مراجعة نقدية لـ «الدليك المتعدّد الأبعاد لقياس الفقر في لبنان ـ 2019»

تقرير إحصائي أم دراسة عن الفقر؟

تصميم الدليك المتعدّد الابعاد 2019 في لبنان: الابعاد، المؤشرات، الاوزان

عتبة الحرمان	المؤشر (الوزن)	البعد (الوزن)
اذا شخص واحد على الاقل من الاسرة في عمر 18-34 لم ينجز المرحلة الثانوية	المستوى التعليمي (10/1)	التعليم (5/1)
اذا طفل واحد على الاقل في عمر 3-17 غير ملتحق	الالتحاق (10/1)	
اذا فرد واحد على الاقل في الاسرة غير مشمول بالتامين الصحي	التأمين الصحي (10/1)	الصحة (5/1)
اذا فرد واحد على الاقل في الاسرة مرض او احتاج الى ادوية او رعاية صحية ولم يحصل عليها لعدم قدرته على تحمل التكلفة	كلفة الرعاية (10/1)	
اذا كان لا يوجد في الاسرة أي فرد في عمر 25-64 يعمل	البطالة (25/1)	الأمان المالي (5/1)
اذا فرد واحد في الاسرة على الاقل في عمر 15-24 لا يعمل ولا يدرس ولا يتدرب	الشباب 1) NEET/25)	
اذا فرد واحد في الاسرة في عمر 15 سنة او اكثر يقوم بعمل غير نظامي او يعمل بدوام جزئي	عمل غير آمن (25/1)	
اذا كان يوجد اقل من شخص واحد في عمر 15 سنة او اكثر يعيل 3 افراد من الاسرة	الاعالة (25/1)	
اذا كان الاسرة لا تضم أي فرد في عمر 15-64 وتعتمد كليا على الإعانات الاجتماعية او التحويلات الداخلية (خلال الأشهر 12 الاخرى)	أمان الدخل (25/1)	
اذا كانت الاسرة لا تملك وسيلة نقل خاصة وتسكن على مسافة تبعد مسافة تزيد عن 10 دقائق سيرا على الاقدام عن اقرب وسيلة نقل (باص، ميني باص، تاكسي)	النقل (25/1)	البنى التحتية (5/1)
اذا الاسرة لا تملك اشتراك في مولد كهرباء	الكهرباء (25/1)	
اذا الاسرة لا تملك وسيلة صرف صحي (مرحاض) او هو مشترك مع أسرة أخرى	الصرف الصحي (25/1)	
اذا الاسرة ليس لها وصول الى مياه شرب آمنة	مياه الشرب (25/1)	
اذا الاسرة تسكن على مسافة تزيد عن 15 دقيقة عن اقرب مستشفى او عيادة خاصة	توفر الخدمة الصحية (25/1)	
اذا كانت الاسرة تسكن في منزل بمعدل ثلاثة اشخاص او اكثر للغرفة الواحدة (بمن فيهم المساعد/ة المنزلي/ة)	كثافة الاشغال (25/1)	مستوى المعيشة (5/1)
اذا كانت الاسرة ليس لديها هاتف ثابت او جوال او انترنت	الاتصال (25/1)	
اذا لا يوجد لدى الاسرة أي وسيلة للتدفئة	التدفئة (25/1)	
اذا كانت الاسرة لا تملك أيا من السلع الاتية او فقط اثنين منها: تلفزيون، فرن غاز، غسالة، مكنسة كهربائية	ملكية الأصول (25/1)	
اذا كانت الاسرة تقيم وضعها ذاتيا انها فقيرة او فقيرة جدا	تقدير ذاتي للفقر (25/1)	

المصدر: إدارة الإحصاء المركزي، 2022

أديب نعمه *

نبدأ بالإشارة أولاً إلى أنّ ما صدر عن إدارة الإحصاء المركزي ليس دراسة عن الفقر في لبنان بل هو عمل إحصائي بحت يتضمّن تصميماً لدليل قياسي للفقر، والنتائج التي يعطيها عند تطبيقه على بيانات مسح القوى العاملة لعام 2019. وهذه باتت صيغة شائعة في ما يسمى دراسات الفقر في السنوات الأخيرة، إذ يقتصر الأمر غالباً على اعتماد منهجية معينة (أخيراً منهجية أوكسفورد لدليل الفقر متعدّد الأبعاد) واحتساب النتائج يقوم بها فريق إحصائي أو عدد محدود من الباحثين أو العاملين في منظمات حكومية أو دولية **.

مناقشة علمية لدليك 2019

المشكلة هنا مزدوجة تتمثّل:

- أولاً في اختزال دراسة الفقر بعمل إحصائي محدود.

- ثانياً في كون القائمين بهذا العمل إحصائيون أو أشخاص غير مختصّين فعلياً في دراسة الفقر بما هو ظاهرة مركّبة. فمثل هذه الدراسة تحتاج إلى فريق متعدّد الاختصاصات يتضمّن خبراء في مجال الفقر تحديداً وإحصائيّين، كما يجب أن يكون لهذا الفريق الدور الأساسي في تصميم الدليل القياسي الذي يحوّل إلى الفريق الإحصائي ليقوم بعمله التقني بعد ذلك، ثم يعود للفريق المتعدّد الاختصاصات نفسه أن يقوم بالتحليل الذي يجب أن يشكّل المكوّن الأساسي في الدراسة، لا مجرد استعراض الجداول والتعليق عليها.

على أيّ حال، إنّ إحالة موضوع دراسة الفقر إلى الأجهزة الإحصائية مع بعض الدعم من قبل منظمات دولية يتجاوز اختصاصات أجهزة الإحصاء نظراً للطابع السياسي لتعريف الفقر وارتباطه بالسياسات، إلى جانب الطابع العلمي. إلّا أنّ هذه الممارسة شائعة وتُسهم فيها المنظمات الدولية لأن ذلك يُتيح لها أن تُحكم هيمنتها على دراسات الفقر التي غالباً ما تكون في خدمة برامج معينة في البلد المعني، أو تستخدم بالأولوية للمقارنات الدولية. فما هو بين أيدينا في صفحات 40 صادرة عن إدارة الإحصاء (معظمها شرح لتصميم الدليل والمؤشرات)، ليس دراسة عن الفقر في لبنان، ومثل هذه الدراسة لا تزال حاجة ملحة وضرورية يجب أن توكل إلى فريق وطني متعدّد الاختصاصات.

المنهجية والتصميم العام

الدليل اللبناني – 2019 يعتمد منهجية أوكسفورد – برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وإطاره المفهومي العام، ويتمايز عنه في التصميم العام واختيار المؤشرات والعتبات. إلا أنه ثمة مشكلة في الإطار المفهومي الأصلي نفسه، كما في بعض عناصر التطبيق اللبناني.

إنّ تصميم دليل أوكسفورد يقوم على بنية ثلاثية تتكوّن من المؤشرات فالأبعاد ثم الدليل المركب، وهي نفسها المعتمدة في الدليل اللبناني. إلا أنه عند التطبيق، فإنّ دور الأبعاد ثانوي في التحليل ويقتصر حضورها على الجانب الإحصائي فقط (مساهمة البُعد المعني في دليل الفقر)، وهذا شأن إحصائي)، في حين أنّ عرض النتائج وحتى طريقة الحساب تقفز مباشرة من المؤشّر إلى الدليل من دون أيّ تحليل على مستوى الأبعاد. وهذه ثغرة كبيرة. لا بل أبعد من ذلك، ثمة ضعف هيكلي في دليل أوكسفورد يتمثّل في إهماله ما يمكن اعتباره الأبعاد الفرعية ضمن البعد الواحد، والتي تشكل معياراً أساسياً في اختيار المؤشرات بدلاً من الاختيار العشوائي للمؤشّرات ضمن البُعد الواحد، أو الاحتكام إلى توافر البيانات بدلاً من الملاءمة في اختيار المؤشرات. وهذه الثغرة موجودة في الدليل اللبناني بحكم استنساخ منهجية أوكسفورد، وتلافي ذلك هو من مهام فريق خبراء وطنيين بالتعاون مع الإحصائيين.

يُفضّل أن يُبذل جهد إضافي لتوحيد عدد المؤشرات ضمن كل بُعد (من دون أن يكون ذلك إلزامياً حكماً)، لأنّ من شأن ذلك أن يعزّز التوازن في أوزان المؤشّرات الإفرادية، ولا سيّما أنّ طريقة احتساب الوزن الإجمالي الذي يحدّد عتبة الفقر (25% من الأوزان الإجمالية) تتجاوز مسألة الأبعاد من الناحية العملية وتقتصر على التجميع الحسابي لأوزان المؤشرات. وبهذا المعنى مثلاً، فإنّ وزن أن يكون أحد أفراد الأسرة ضمن الفئة العمرية 18-34 ليس حائزاً على شهادة البكالوريا (0,10)، يُساوي تقريباً وزن الحرمان لأسرة تسكن في منزل ليس فيه كهرباء، ولا يوجد فيه مرحاض، ومياه الشرب المستخدمة غير آمنة (وزن إجمالي للمؤشرات الثلاثة 0,12)!

> **إنّ مقاربة شبكات الأمان القائمة على الاستهداف قاصرة وغير ملائمة ولا بد من الانتقال الفوري إلى نظام شامل للحماية الاجتماعية على اساس منظور الحقّ من ضمن خطّة أكثر شمولاً لمعالجة الأزمة المركّبة بكل أبعادها**

في اختيار الأبعاد

اعتمد الدليل اللبناني خمسة أبعاد هي: التعليم (مؤشران)، الصحّة (مؤشران)، الأمان المالي، والبنى التحتية، ومستوى المعيشة (خمسة مؤشّرات لكلّ منها). ويُلاحظ أنّ ثمة تداخل في ما يعبّر عنه كلّ بعد ولا سيّما الأمان المالي ومستوى المعيشة. فما يرد من مؤشّرات في بُعد الأمان المالي هو في جوهره يتعلّق بالوضع الاقتصادي ومستوى الدخل – المعيشة المتوقع للأسرة (ما عدا مؤشر الاعتماد على التحويلات للمسنين، ونسبياً العمل غير النظامي)، وربما كان من الأجدى أن يتم اختيار إمكانية الجمع بين البُعدين في بُعد واحد مثلاً، ما يمكن أن يحسّن الاتساق العام للدليل.

كذلك، كان بالإمكان التفكير في اعتماد بُعد خاص بالسكن بدلاً من البنى التحتية ولا سيّما أنّ ثلاثة من مؤشّراته الخمسة تتعلّق بتوافر الخدمات داخل المسكن. مثل هذه المسائل غالباً ما تناقش في الفريق الوطني المكلّف بإعداد الدراسة وتصميم الدليل، ومن شأنها أن تسهم في تأصيل الإطار المفهومي، وأن تجعل اختيار الأبعاد، وتحديد الأبعاد الفرعية ضمنها أكثر دقّة وملاءمة، وبناء على ذلك، اختيار المؤشّرات بما يقيس الأبعاد الفرعية لا البُعد الأساسي مباشرة، وهو ما من شأنه أن يقلّص من هامش الانحرافات والذاتية.

في المؤشرات المختارة

أذكر بالتقييم الإيجابي الإجمالي لعمل إدارة الإحصاء وفريقها في تصميم الدليل وحساب النتائج، وينطبق ذلك على الاجتهاد في اختيار المؤشّرات، التي تُعتبر ملائمة في معظمها من دون شك. إلا أنّ غياب الإطار المفهومي المتّسق يسهم في تشتيت الاختيارات بفعل فقدان المعايير الواضحة. ولو نظرنا إلى المؤشّرات المختارة (وردت في الجدول رقم 1) وإلى نسبة الحرمان المسجّلة بين عموم السكان بالنسبة إلى كلّ مؤشّر (الشكل رقم 2)، يمكن أن نورد بعض الملاحظات على المؤشّرات من شأنها أن تُسهم في تحسين التصميم والنتائج، على سبيل المثال:

أ- في بُعد الصحّة، هناك مؤشّر عن الوصول الفعلي إلى الخدمات الصحية (إذا مرض شخص أو احتاج إلى دواء ولم يحصل على الرعاية بسبب الكلفة)، وهو مؤشّر ملائم ويقيس الاستخدام الفعلي للخدمات الصحية (أي هو مؤشّر نتيجة وهو أفضل من المؤشّرات الوسيطة). لكن يرد في بُعد البنى التحتية مؤشّراً عن وجود مستشفى أو عيادة على مسافة 15 دقيقة في السيارة، وهو مؤشّر ضعيف الدلالة، ولا ضرورة له طالما أنّ المؤشّر الأول يقيس الحصول على الخدمة الصحية فعلياً، فلا ضرورة لإضافة مؤشّر عن عرض مبدئي للخدمة الصحية الذي قد لا تُستخدم أصلاً.

ب – في بُعد البنى التحتية يرد مثلاً مؤشّر عن النقل، إذ اعتبر الأسرة محرومة في هذا المؤشر إذا لم تكن تملك وسيلة نقل سيارة، أو دراجة نارية، أو بيك آب، أو هناك مسافة تزيد عن 10 دقائق سيراً على الأقدام حتى أقرب وسيلة نقل (باص، تاكسي). وفي هذا الصدد، إنّ كل مؤشّرات المسافة عن توافر خدمة معينة ضعيفة الدلالة في لبنان، على نحو خاص في المدن والبلدات (النتيجة حسب إدارة الإحصاء هي أنّ نسبة 3,5% فقط من المقيمين محرومون بالنسبة إلى هذا المؤشّر). ويشترط هذا المؤشر أن تكون الأسرة لا تملك وسيلة نقل خاصة (و) تعيش في الوقت عينه على مسافة أكثر من عشر دقائق من وسيلة نقل أخرى عامة أو خاصة يملكها شخص آخر. من جهة أخرى، بالإمكان مناقشة خيارات أخرى تجعل ملكية السيارة الخاصة (وهي ذات دلالة مختلفة عن ملكية دراجة نارية أو بيك آب من بعض نتائج 2019 لجهة الاتّساق الداخلي.

بيّنت النتائج على مستوى المحافظات أنّ نسبة الفقر هي أقلّ من المتوسّط الوطني في جبل لبنان فقط (43% مقابل المتوسط الوطني البالغ 53%) وهي تساوي تقريباً المتوسط الوطني في بيروت (52%)، في حين أنها تزيد عن المتوسط الوطني في المحافظات الأخرى وتبلغ أقصاها في محافظة عكار مع نسبة فقر تبلغ 70%. وبحسب هذه النتائج فإنّ التمييز لا يزال قائماً بين لبنان المركزي (بيروت وجبل لبنان) ولبنان الطرفي (المحافظات الأخرى) الذي سبق رصده في الدراسات السابقة. لكنّ نسب الفقر كانت دائماً أدنى في بيروت (9% عام 2005) مقارنة بجبل لبنان (22% عام 2005) لأنّ محافظة بيروت تقتصر على بيروت الإدارية في حين أنّ محافظة جبل لبنان وإن كانت تضم أقضية تُعدّ نسب الفقر فيها متدنية (كسروان مثلاً)، إلا أنها تضمّ أيضاً الضاحيتين الجنوبية والشمالية للعاصمة مع ما تحتويه من كثافة سكانية لفئات تعيش بمستوى معيشة متدن، وهو ما يفسر ارتفاع نسبة الفقر فيها مقارنة ببيروت. ولكن في نتائج 2019، فإنّ نسبة الفقر في جبل لبنان أقل ممّا هي في بيروت، وهذا تغيّر هام، يحتاج إلى تحقّق وإلى تفسير لا تقدّمه النتائج المنشورة لسبب سبق إيضاحه هو أنّ ما بين أيدينا، هو تقرير إحصائي وليس دراسة عن الفقر، لذلك لا نجد تفسيراً ولا نجد تحقّقاً من دقّة النتائج. كما أنّ نسبة الفقر في محافظة البقاع (البقاعَين الأوسط بمن فيها زحلة، والبقاع الغربي) أعلى ممّا هي في محافظة بعلبك – الهرمل (67% مقابل 62%) وهو ما يبدو أيضاً غير متوقّع، ولا سيّما متى نظرنا إلى وضع زحلة تحديداً.

> **يركّز القسم الثاني من مراجعة الدليك المتعدّد الأبعاد لقياس الفقر – 2019، والذي صمّمته إدارة الإحصاء المركزي، على الجانب العلمي، ولا سيّما مراجعة تصميم الدليك نفسه والمؤشرات والعتبات المعتمدة**

على مستوى الأقضية سوف نجد أمثلة مشابهة. بعض التبدّل في المواقع بين الأقضية المتقاربة يبقى أمراً ممكناً (مثلاً أن يكون قضاء المنية – الضنية أكثر فقراً من قضاء/ محافظة عكار أو العكس)، إلا أنّ اللافت مثلاً هو أنّ نسبة الفقر في زحلة تبلغ 69% وهي في الترتيب الرابع في لبنان بعد المنية – الضنية (77%) والهرمل (72%) وعكار (70%). وتتساوى زحلة مع عكار تقريباً في نسبة الفقر، وهي تزيد فيها عن بعلبك بتسع نقاط مئوية (60%). ففي التقارير السابقة كانت زحلة في موقع أفضل مقارنة ببعلبك – الهرمل إذ كانت نسبة الفقر فيها 21% عام 2005، مقارنة بـ41% من الأسر في بعلبك – الهرمل. هذا التراجع الكبير في موقع زحلة يتطلّب التفسير، وقد فسّر أحد أعضاء فريق الإحصاء ذلك بأثر مؤشّر الحرمان من الكهرباء الذي يُقاس بعدم وجود اشتراك في مولّد كهربائي وهو ذو دلالة معكوسة في زحلة بسبب توافر الطاقة الكهربائية والتي شكّلت مستقرّاً من خلال شركة كهرباء زحلة، الأمر الذي يعكس دلالة مؤشّر عدم وجود اشتراك في المولد. وهذا سبب آخر لضرورة تصحيح النتائج من قبل فريق الدراسة (لو كنا بصدد دراسة)، علماً بأنّ مؤشّر الكهرباء المشار إليه لا يمثّل سوى 25/1 من الوزن الإجمالي للدليل ولا يكفي لتفسير هذه النتيجة.

خلاصة

لقد بات بين أيدينا قياس جديد مع نتائج جديدة للفقر باستخدام دليل متعدّد الأبعاد لقياس الفقر لعام 2019، وهذه خطوة جيدة ولا سيّما أنها أُنجزت من قبل جهة وطنية رسمية لبنانية. لكنها ليست دراسة عن الفقر، كما أنّ النتائج لا يمكن مقارنتها بنتائج سابقة اعتمدت منهجية مشابهة وإن بمؤشرات مختلفة. إلا أنّ تبعات القياس الرسمي الذي يعتبر أنّ 53% من السكان يعتبرون فقراء قبل الأزمة، يجعل التقدير السائد بأنّ نحو ثلاثة أرباع السكان/ الأسر في لبنان تُعدّ فقيرة وتحتاج إلى مساعدة بسبب الأزمة هو تقدير واقعي جداً. وهو يعني أيضاً أنّ شبكات الأمان الطارئة التي تغطي في ذروتها نحو 20% من السكان هي جزئية وقاصرة جداً، وأنّ سبب الاقتصار على هذه النسبة يتوقّف على قيمة قرض البنك الدولي، ولا يعبّر عن الحاجة الفعلية، هذا مع التذكير دائماً بأنّ مقاربة شبكات الأمان القائمة على الاستهداف تبقى قاصرة وغير ملائمة، وأنّه لا بد من الانتقال الفوري إلى نظام شامل للحماية الاجتماعية على أساس منظور الحق، من ضمن خطة أكثر شمولاً لمعالجة الأزمة المركبة بكل أبعادها، ومن ضمنها استعادة النمو على أسس جديدة، وحلّ الأزمة المالية – النقدية – المصرفية، وإعطاء الأولوية للتدخل من خلال السياسات العامة (الضريبية والخدمات العامة وغيرها).

* مستشار في التنمية ومكافحة الفقر

**سبق أن قمت بنقد مفصّل ومباشر لهذا النوع من التقارير في كتابي «التنمية والفقر: مراجعة نقدية للمفاهيم وأدوات القياس»، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، عام 2021

20%

من السكان هي ذروة التغطية التي تقدّمها شبكات الامان اي انها جزئية وقاصرة

64%

هي نتيجة الحرمان في مؤشر امان العمل وهي مفهومة لانها تمثل محصلة نسبة العمل غير النظامي (55٪) والعمل الجزئي (نحو 5٪)

نسب الحرمان حسب المؤشرات الافرادية - لبنان 2018-2019 (٪)

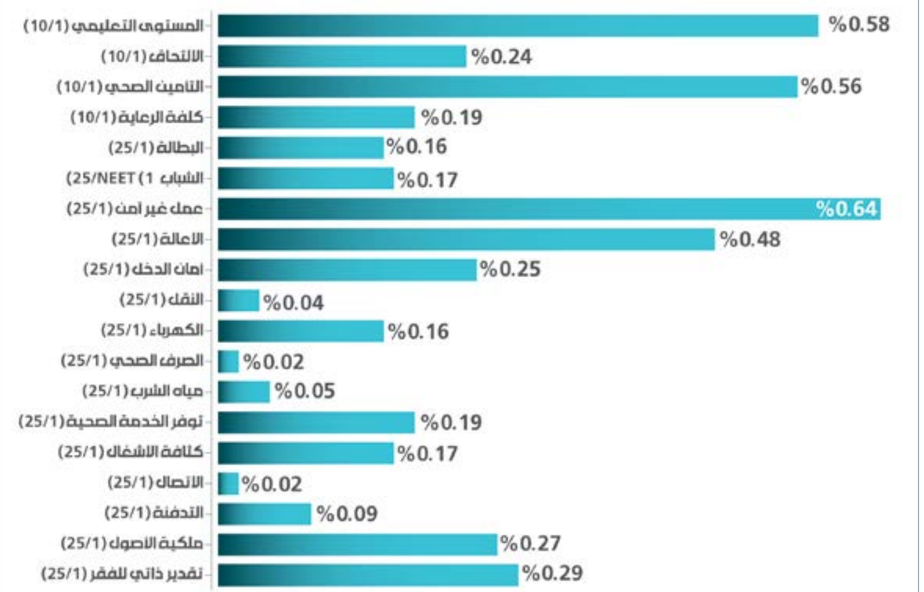

إدارة الإحصاء المركزي، 2022

عمّال لبنان قبل الانهيار

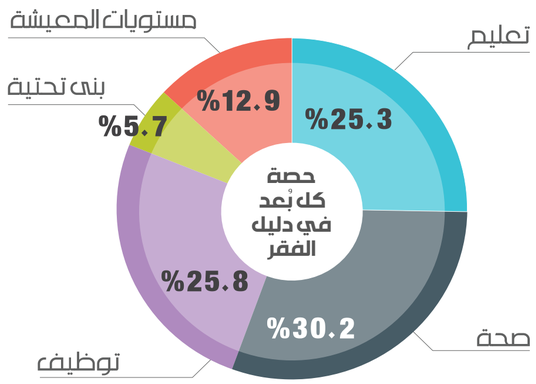

المصدر: إدارة الإحصاء المركزي 2022

40 ساعة – 49 ساعة

هي الشريحة الزمنية الأكثر ممارسة لدى العمال في لبنان. فالإحصاءات، قبل الأزمة الحالية، كانت تشير إلى أن 30% من القوى العاملة يعملون ضمن هذه الشريحة الزمنية، أي ما يوازي ما بين 8 ساعات و10 ساعات عمل يومياً، وهو فوق المستوى القانوني. لكن اللافت أن 27,7% من العمال كانوا يعملون أكثر من 60 ساعة أسبوعياً، أو ما يعادل 12 ساعة يومياً إذا احتسبنا 5 أيام عمل في الأسبوع، أي أن هذه النسبة تعمل أكثر بكثير مما هو مسموح ضمن قانون العمل اللبناني وذلك لأسباب مختلفة من أبرزها استغلال حاجة العمال لهذه الوظيفة، والتنافس بين العمال، والعمل غير النظامي.

%25.8

هي مساهمة «بُعد التوظيف» في مؤشر الفقر المتعدد الأبعاد الصادر عن إدارة الإحصاء المركزي لعام 2019، أي قبل الانهيار. ويشمل هذا البُعد: البطالة، الأمان الوظيفي، العمل بين أفراد الأسرة، الدخل، وأفراد الأسرة الذين لا يعملون ولا يتعلّمون. من بين هذه المؤشرات، يستحوذ الحرمان من الأمان الوظيفي على الحصة الأكبر. تبلغ نسبة هؤلاء نحو 9,7% من الذين يعانون من الفقر المتعدد الأبعاد. معظم هؤلاء يعانون من انعدام الأمان الوظيفي لأنهم يعملون في القطاع غير النظامي، أي أنهم يعملون من دون التصريح عنهم للسلطات، بالتالي لا يحصلون على أي من مكتسبات الأجر المتعلقة بالضمان والتعويضات والبدلات الأخرى والعطلة السنوية وسائر الحقوق الأخرى. هؤلاء الأشخاص هم الأكثر عرضة لخسارة الوظيفة في أي لحظة لأن لا قانون يحميهم.

أما مساهمة البطالة في «بعد التوظيف» تشير إلى أن 6,8% من الذين يعانون من الفقر المتعدد الأبعاد، هم عاطلون من العمل. أيضاً يسهم مؤشر «الاعتماد على العاملين بين أفراد الأسرة» في الفقر المتعدد الأبعاد بنسبة واسعة لأنه يقيس عدد أفراد الأسرة الذين يعتمدون على الشخص العامل ضمن الأسرة. فإذا كانت الأسرة مؤلفة من خمسة أفراد، وهناك شخص واحد يعمل، يعني هذا أن هناك أربعة أفراد يعتمدون على عامل واحد، أي أن هؤلاء يُصنفون على أنهم محرومون بحسب هذا المؤشر.

635,000 عامل

هؤلاء ليسوا مستفيدين من أي تغطية صحية بحسب أرقام إحصاء المركزي الصادرة عن إحصاءات أجريت في عامي 2018 و2019. هذا الأمر يشير إلى انعدام الأمان الصحي لدى هؤلاء وأسرهم. وهو رقم كبير جداً رغم تعدد الأجهزة الضامنة في لبنان من وزارة الصحة إلى الضمان الاجتماعي والصناديق العسكرية وصناديق التعاضد وتعاونية موظفي الدولة والصناديق الخاصة وشبه العامة. يشير هذا الرقم إلى سوء وضع العمال في القطاع غير النظامي، إذ إن فئة الـ40% في غالبيتها تعمل بشكل غير نظامي، أي لم يصرّح عنها للسلطات المختصة في وزارة المال والضمان الاجتماعي اللذين يفرضان على المؤسسات التصريح عن عمالها كموجب أساسي المخالفة فيه تخضع لعقوبة مالية وغرامة.

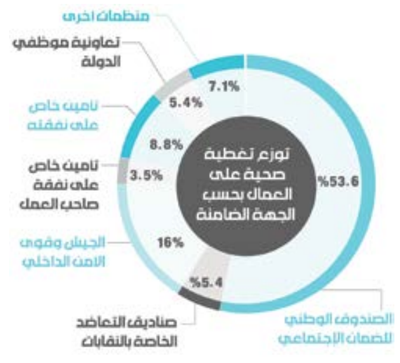

تبلغ نسبة العمال الذين لديهم تغطية صحية 60% من مجمل القوى العاملة، أي نحو 955 ألف عامل من أصل 1,45 مليون عامل في لبنان وفق الإحصاء الأخير. يستحوذ الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي على الحصة الأكبر من هؤلاء، لأن الغالبية تعمل في القطاع الخاص الذي يحكم قانون العمل والضمان الاجتماعي يلزم المؤسسات بالتصريح عن عمالها وتسديد الاشتراكات عنهم مقابل تنسيبهم لصناديق ضمان المرض والأمومة والتعويضات العائلة وتعويضات نهاية الخدمة. لكن المشكلة التي برزت اليوم، بعد إفلاس لبنان، هو إفلاس الضمان وسائر الصناديق الضامنة، إذ إن كل مدخرات هذه الصناديق فقدت قيمتها الاسمية مما أفقدها القدرة على لعب دور التغطية الصحية. أي تغطية صحية لهذه الصناديق، سواء كانت رسمية أم نصف رسمية أو حتى خاصة بالكامل، يتطلب أن تضخّ أموالٍ فيها تنقذها من حالة الإفلاس أو تعديل نسب تغطيتها ونوعية التغطية... وفي كل الأحوال هذه خسارة كبيرة للعمال.

54.9% عمال في القطاع غير النظامي

هذا الرقم يشير إلى أن أكثر من نصف العمال في لبنان يفتقدون الحقوق التي يفرضها قانون العمل على الشركات والمؤسسات لحماية العمال والموظفين. إن انتشار القطاع غير النظامي في أي اقتصاد يسهّل الأعمال غير القانونيّة. كما يسهّل عمليات التهرّب الضريبي إذ لا يحتاج أرباب العمل والعمال لدفع الضريبة للدولة لأنهم في السجلات الرسمية غير موجودين هم وأعمالهم وعمالهم، ما يؤدي إلى خسائر في إيرادات الدولة وقضم حقوق العمال في الإجازات المرضية وتعويضات نهاية الخدمة وسائر الحقوق.

لا أمان وظيفي حول العالم

لا فرق كبيراً بين جمهورية التشيك واليونان ونيوزيلندا، وبين الولايات المتحدة الأميركية، عند مقارنة أعلى عدد ساعات يؤدّيها العمال في هذه الدول. لكن هناك فرق واضح بين الولايات المتحدة وبين إستونيا أو هنغاريا مثلاً لجهة إجازة الأمومة من العمل. فمن الواضح، أن الدول القائدة للنهج النيوليبرالي تسحق الشريحة العاملة لديها وتحوّلها إلى آلات تعمل في خدمة الأثرياء والقلّة في المجتمع. هذا الأمر ظهر واضحاً من خلال بعض التقارير التي نشرت عن عمال «أمازون» الذين لم يتح لهم قضاء حاجتهم في الحمام بسبب ضغط العمل، وخوفاً من فقدان وظائفهم الأمان الوظيفي هو أحد سمات العمل استدامة العمل، وهو مؤشّر على مدى الحرمان الذي يتعرّض له العمّال حول العالم. استغلالهم واستعبادهم وتحويلهم إلى آلات لإرضاء رأس المال هي ظاهرة تفاقمت بالتزامن مع ما يسمّى العولمة. فهذه الأخيرة كانت الأداة لتحقيق ذلك، وهي الأداة التي قضت على التكتّلات العمّالية والنقابات التي يمكن أن تواجه الآن، حول العالم، يعاني العمّال من عدد ساعات عمل كبير، ومن تركّز في ساعات العمل أسبوعياً، ومن دخل متدنّ، بينما ينعم رأس المال بحصّة وافرة من عمليات خلق النقود وضخّها في الأسواق، فعلى سبيل المثال، ضخّت الولايات المتحدة نحو 3 تريليونات دولار خلال أزمة كوفيد، ما أدّى إلى زيادة في ثروة المليارديرات بنحو 70% فيما زادت أرباح الشركات 50% فتخطّت ثروة الـ745 ملياردياً في أميركا ما قيمته 5 تريليونات دولار.

معدّل ساعات العمل السنوية (مقارنة بين عام 1979 و2015)

نسبة الزيادة في ثروة المليارديرية هي الاعلى

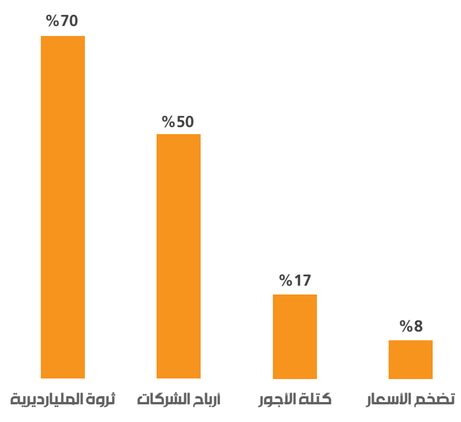

المصدر : inequality.org

اعلى 10 دول من جهة ساعات العمل السنوية

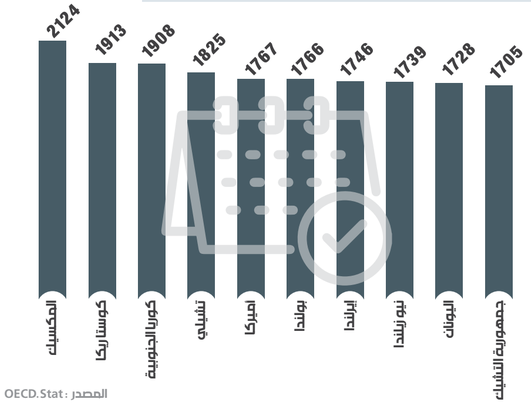

المصدر: OECD.Stat

اعلى 10 دول من جهة اطول اسبوع عمل (بالساعات)

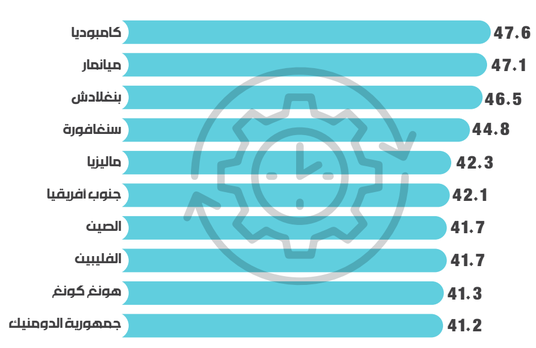

المصدر: worldpopulationreview.com

اعلى 10 دول من جهة الحد الادنى للاجور ($ في الساعة)

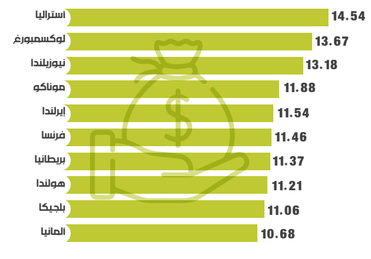

المصدر: worldpopulationreview.com

الولايات المتحدة لا تزال متاخرة سنوات في إجازة الامومة

إجمالي اسابيع الإجازة مدفوعة الاجر المتاحة للامهات (بعادل المعدل الكامل)

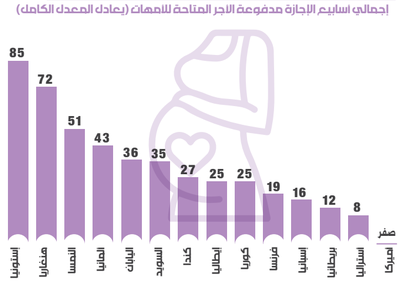

المصدر: اليونيسيف

حصول الاب على إجازة الوالدين

اسابيع مدفوعة يمكن ان ياخذها الاب فقط

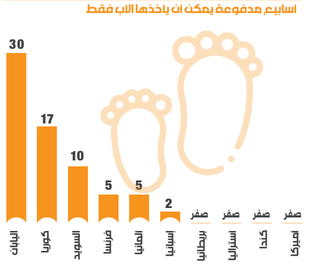

المصدر: اليونيسيف

قراءات

الرأسمالية الريعيّة الأميركيّة (الغربية) إلى أين؟

زياد حافظ *

العمليّة العسكرية الروسيّة في أوكرانيا هي أكثر من مواجهة بين روسيا والحلف الأطلسي ومعه الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. فهي مواجهة بين رأس ماليّتين متنافستين: رأس مالية إنتاجيّة تقودها مجموعة من الدول وفي طليعتها روسيا والصين، ورأس ماليّة ريعية تقودها الولايات المتحدة ومعها الأطلسيون المسيطرون على حكومات الاتحاد الأوروبي وعلى مؤسّساته إضافة إلى كندا وأستراليا ونيوزيلاندا واليابان. باقي العالم يتفرّج ولم يقبل الاصطفاف وراء الولايات المتحدة في المواجهة مع روسيا.

إذا كان هذا المسار، يُعدّ تحوّلاً كبيراً في موازين القوّة السياسية الدولية، فإنّ التحوّلات في النماذج الاقتصادية المتنافسة تعكس الصراع بين قوى تعتمد الواقع كأساس، وبين قوى لجأت إلى العالم الافتراضي كنموذج لخلق ثروات من لا شيء. واقع الحال هو أنّ الرأسمالية الإنتاجية، تتفوّق بأشواط على الرأسمالية الريعيّة التي أوجدتها الولايات المتحدة منذ السبعينيات عندما ولّدت قاعدتها الصناعية خارج أميركا واعتمدت السياسة النقدية كمفتاح لإنتاج ثروة افتراضية غير مرتبطة بالأداء الاقتصادي العيني: الولايات المتحدة المعتمدة على قوّة عسكرية كبيرة، وعلى سيطرتها على شرايين المال في العالم عبر هيمنة الدولار كعملة احتياط أساسية، إن لم نقل الأولى أو حتى الوحيدة، اعتبرت أنّ بإمكانها الاستمرار بإملائها على دول العالم التي تملك الطاقة والموارد الطبيعية، لتأمين رفاهية نخبها المتحكّمة. في المقابل كانت دول كالصين والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا، تعتمد تطوير اقتصاداتها عبر الاستثمار في البنى التحتية وفي القاعدة الإنتاجية سواء، في الصناعة أو الزراعة أو الطاقة أو في التكنولوجيا لتأمين رفاهية مواطنيها.

تركّز احتكاري - طفيلي

يرتكز النظام الريعي الذي اعتمدته الولايات المتحدة، على الاحتكارات عموماً، وعلى ثلاثة قطاعات طفيليّة بامتياز: القطاع المالي، القطاع التأميني والقطاع العقاري. من مفارقات الدّهر أنّ الأحرف الأولى باللغة الإنكليزية لهذه القطاعات مجتمعة تعطي مصطلح «فاير» (Finance, Insurance, Real Estate) أي الحريق. ويمكن إضافة شركات التواصل التكنولوجي والمعلوماتي كقوى صاعدة تسيطر على الإعلام الموازي، بينما 90% من الإعلام الشركاتي مملوك من ستة شركات فقط. هي: جنرال الكتريك، فياكوم، نيوزكورب، ديزني، تايم وارنر، وسي. بي. أس. أما على صعيد شركات الهاتف المحمول، فهناك أربع شركات تسيطر على أكثر من 86% من السوق، وهي: فرايزون، وأ. تي. تي، سبرينت، وتي موبايل.

بالفعل، هذا النوع من الاقتصاد الريعي والطفيلي، «حرق» الاقتصاد العيني في الولايات المتحدة عبر التركّز الاحتكاري، فعلى سبيل المثال، يسيطر على القطاع المالي 5 شركات، وهي: ج. ب. مورغان شايز، بنك أوف أميركا، ويلز فارغو، سيتي غروب، ويو. أس بنكورب، علماً بأنّ أربع شركات تسيطر على هذه الشركات الخمس، وهي: بلاك روك، فانغارد غروب، فيديليتي انفستمنتس، ستيت ستريت غلوبال أدفيزرز. أمّا عدد شركات وسائل التواصل الاجتماعي، فلا يتجاوز أصابع اليد، ما يجعلها قادرة على السيطرة على الخطاب العام. فهي تحجب من تريد وتروّج لما تريد. وهناك شعور متزايد، بأنّ الدستور الذي يحمي حرّية التعبير تم تقويضه عبر الرقابة غير الرسمية. معظم هذه الشركات تديرها نخب من الطّيف الليبرالي الذي لا يكترث للرأي المخالف. هنا تقع المعركة الفاصلة للنخب النيوليبرالية الحاكمة التي لا تستطيع مواجهة الجماهير فتلجأ إلى «إلغاء» وجودها الإعلامي. هذه هي إحدى إرهاصات الانحطاط السياسي والأخلاقي المتفاقم في الولايات المتحدة.

ينسحب الأمر على عدد أكبر من القطاعات، مثل صناعة السيارات، النقل والمواصلات، المعلوماتية، وحتى المجمّع العسكري الصناعي يخضع لسيطرة عدد قليل من الشركات الكبرى مثل: لوكهيد مارتن، رايثيون، جنرال ديناميكس، بوينغ، نورثروب غرونمن. غالبية النشاطات الاقتصادية تتحكّم فيها احتكارات مكّنتها سياسات نقدية ومالية، بحجة «تحرير» الاقتصاد من القيود الضابطة (deregulation). والقوّة التي تملكها هذه الشركات، جعلتها المشرّع الفعلي في الكونغرس الأميركي، إذ استطاعت الاحتكارات ترويض النظام السياسي وتحويله إلى أداة تُدير مصالحها. علماً بأنّ الدولة الحديثة في المرحلة الرأسمالية الإنتاجية كانت حريصة على حماية العلاقات الاجتماعية الناتجة عن ملكية وسائل الإنتاج. وفي مراحل الوعي السياسي لحماية النظام الرأسمالي قبلت الدولة أن تتحوّل إلى دولة رفاهية تحمي في الحدّ الأدنى، الطبقات الفقيرة والوسطى عبر برامج إنفاق تؤمّن بعضاً من العدالة الاجتماعية. هذه هي فلسفة الضمان الاجتماعي من وجهة نظر الرأسمالية الإنتاجية.

«المال» هو الإنتاج

ومع تحوّل النظام الرأسمالي الإنتاجي إلى رأسمالية ريعيّة مالية بسبب الخروج من حقبة التصنيع ودخول ما بعد التصنيع، تحوّلت البنية العمّالية في الولايات المتحدة. إذ جرى تفكيك قوّة النقابات العمّالية أيام رونالد ريغان، واستكملها «الديموقراطي» بيل كلنتون من خلال تفكيك القيود الضابطة للنشاط الاقتصادي بشكل عام، والامتناع عن رفع مستوى الأجور الفعلي (وليس الاسمي) ليستمر على ما كان عليه منذ السبعينيات. وساعد في هذا التحوّل، سقوط المنظومة الاشتراكية في مطلع التسعينيات، فلم يعد الضغط الشعبي بنفس قوّة ما كان عليه في الحقبة الصناعية الإنتاجية، ومع تفكيك النقابات والتحوّل السريع إلى اقتصاد خدماتي، لم يعد ممكناً تحديد الحدود الفاصلة بين الطبقة العاملة وملكية وسائل الإنتاج. هذه الملكية أصبحت سائلة وسائبة، فيما أدّى «الابتكار» في صنع ثروات افتراضية، إلى إلغاء مفعول ملكية وسائل الإنتاج، بل تغيّر مفهوم الإنتاج بشكل ملحوظ وأصبح الإنتاج الافتراضي بدلاً من الإنتاج العيني في الصناعة والزراعة. وسيلة «الإنتاج» الأساسية أصبحت المال!

تبلورت أهمية المال في إنتاج الثروة الافتراضية من خلال سياسات نقدية اتّبعها الاحتياط الاتحادي (أي البنك المركزي الأميركي المملوك أصلاً من مصارف تجارية خاصة تملكها شركات وعائلات)، عبر إمداد الشركات بتسهيلات نقدية ساهمت في تفاقم الدين العام مقابل تمكين الشركات من توظيف التسهيلات المالية في شراء أسهمها، ما جعل الأسواق المالية تشتعل ارتفاعاً بمعزل عن الحالة الفعلية للاقتصاد العيني. هكذا حصل الانفصام بين الأسواق المالية والاقتصاد الفعلي، إذ ارتفعت قيمة الأسهم مع ارتفاع معدّلات البطالة وزيادة الفجوات الاقتصادية. غير أنّ كلفة ارتفاع الأسهم لم ترد في وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الشركات المالية المتحكرة. وغرقت أميركا بالدين. إذ إنّ الدين الخاص الذي يشمل دين الشركات والأفراد يتجاوز 38 تريليون دولار مقابل ناتج داخلي لا يتجاوز 23 تريليون دولار، علماً بأن الدين العام يفوق 30 تريليون دولار، أي أنّ مجمل الدين الأميركي يفوق 68 تريليون دولار. كذلك، تجب الإشارة إلى الخسائر المحتملة التي يصعب تقديرها إلاّ بالكوادريليون (أي ألف تريليون) لأنّ قسماً كبيراً من التداول المالية والرهانات على مستقبل أسعار الأسهم التي تموّل بالدين الآجلة. ففي حال انهيار الأسواق المالية، وقد يحدث ذلك في أي وقت الآن، فإن الخسائر المحتملة تفوق 4 كوادريليون وستطيح ليس فقط بالأسواق المالية الأميركية، بل أيضاً بالأسواق العالمية المرتبطة بها ولا سيّما في أوروبا الغربية. كارثة محتملة تصبح يوماً بعد يوم أكثر ارتقاباً. لذا، فإنّ سلوك المؤسسات المالية في الولايات المتحدة، ومعها الدوائر الحكومية، يقوم على الهروب إلى الأمام بدلاً من التوقّف وإعادة النظر. هكذا تصبح عوامل الانهيار الداخلي من عالم الواقع الجديد، ولا سيّما في ظل تزايد الانسداد في الأفق الاقتصادي والمالي، وتراجع النفوذ حول العالم، وحالة الإنكار السائدة بين النخب.

> **إقدام روسيا على تسعير الغاز بالروبل واليوان والروبية شكّل ضربة قاضية للدولار واليورو**

الإطار المؤسسي للريع

خلال التحوّل في بنية النشاط الاقتصادي، نمت ظاهرة التمركز في النشاط. الحصول على «المال» عبر سياسات نقدية بكلفة منخفضة، ساهم في تكوين الاحتكارات التي يُشار إليها في الأدبيات الغربية بوصفها «تمركز». صحيح أنه صدرت في مطلع القرن العشرين تشريعات تحدّ من الاحتكار، وأُنشئت مؤسّسات تراقب النشاطات لتحارب الاحتكارات، لكن في عصر تفكيك القيود الضابطة التي بدأت مع الرئيس رونالد ريغان وبلغت ذروتها مع الرئيس بيل كلنتون، جرى إضعاف سلطات الرقابة، ما عزّز التمركز، وحوّل بعض محاولات كبح الاحتكارات إلى استعراضات إعلامية إرضاء لرأي عام أصابته الريبة. من أشهر الملاحقات، تلك التي استهدفت «مايكروسوفت» في التسعينيات، إذ لم يتم «تفكيك» الاحتكار في برامج تشغيل الحاسوب الذي ما زالت تتمتع به الشركة.

الاحتكار هو الإطار المؤسّسي لجني الريع بسبب التحكم بالعرض أو بالطلب ما يؤمن للمحتكر أرباحاً غير متصلة بالإنتاجية والجودة. والريع الاحتكاري، يكبح الاستثمار في الإبداع والتجديد، إذ لا يمكن أن يتقدّم اقتصاد مبني على الاحتكار الحاصل بل هو يحافظ على امتيازاته عبر التحكّم بالسلطة وبالتشريع، ما يزيد الفجوة بين الطبقة الحاكمة ومموّليها، والشعب. وبالتزامن تظهر التناقضات البنيوية الموجودة في كلّ مجتمع لتصبح تهديداً مباشراً لتماسك المجتمع واستقرار الدولة. ردّ الاحتكار، يأتي عبر المزيد من التسلط، ونموّ الدولة الأمنية، والرقابة، وثقافة الإلغاء. فعندما يفتقد الخطاب السياسي والاقتصادي شرعيته يصبح خطاباً إلغائياً إلى أن ينفجر الوضع. هذه هي الخطوط العريضة للمشهد الداخلي الأميركي وإلى حدّ كبير المشهد الغربي الذي تحكمه الرأسمالية الريعية المالية.

تكنولوجيا في خدمة «التمركز»

لعبت الثورة التكنولوجية في المعلومات والتواصل والاحتساب، دوراً في تمكين الاحتكارات. قطاعات واسعة من شبكات التوزيع التجاري بالجملة والمفرق، أصبحت مملوكة من شركات قليلة مثل «أمازون». وأصبح الشراء عبر الإنترنت بديلاً من المتاجر في الأسواق، ما يعني أنّ القدرة على توفير شرايين التوزيع كالمستودعات ووسائل النقل البرّية والجوّية ساهم في قتل المتجر الذي أصبح تحت رحمة من يملك وسائل النقل. وأسهم اختفاء المؤسّسات الصغيرة والوسطى في تقلّص الطبقة الوسطى ما زاد الفجوة بين القلّة المحتكرة وسائر الطبقات، فضلاً عن اختفاء صمّام الأمان للاستقرار المجتمعي والتماسك الداخلي. ومع صعود الدولة الأمنية وتفشّي وسائل الرقابة التكنولوجية وثقافة الإقصاء والإلغاء، أصبح التناقض الداخلي سمة الخطاب والحراك الداخلي السياسي.

ظاهرة «أمازون» مهمة لسبب آخر، وهي العلاقة الوثيقة بين المنظومة الاحتكارية، والإعلام الشركاتي والدولة الأمنية. فالمؤسّس جيمس باسوس، اشترى صحيفة «واشنطن بوست». كذلك، فازت الشركة بعقود تجارية مع وكالة الاستخبارات المركزية بقيمة أكثر من 600 مليون دولار لتسهيل تخزين معلومات الوكالة في الـ cloud. وتحوّلت الصحيفة إلى وسيلة «التسريب» المفضّلة للوكالة بشكل منفصل عن مصالح الإدارة التي تعمل تحت رعايتها. التلازم بين الاحتكار والدولة بشكلها الأمني والإعلامي، يجعل الرأي الآخر أو الاعتراضي أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً. فقد باتت السردية الرسمية هي التي يروّج لها الإعلام الشركاتي وهي غير قابلة للنقاش. هكذا يتم الترويج للحروب وللمغامرات العسكرية.

نحو التصادم الداخلي

لا تستطيع الرأسمالية الريعية، أن تصمد مقابل الرأسمالية الإنتاجية. فهذه الأخيرة تتفوّق في بناء طبقات من القيمة المضافة على إنتاج السلع والخدمات وتموّل البحوث والإبداع. والاحتكار في الرأسمالية الإنتاجية، يخضع لرقابة الدولة كما هو في الصين وروسيا والهند. فالتمارج بين الدولة المركزية القوية التي توجّه الاقتصاد، وبين مقتضيات السوق التنافسية، أسهم في نهضة اقتصادات وازنة في الاقتصاد العالمي مثل الصين وروسيا والهند والبرازيل (الأسواق الاستهلاكية الكبرى). الرأسمالية الريعيّة المالية في الولايات المتحدة تعتبر أنّ أهم سلاح لديها في تثبيت نموذجها الاقتصادي حول العالم، هو مكانة الدولار كعملة احتياط أساسية إن لم تكن الوحيدة في العالم. لكن العالم يتغيّر. التسعير في التبادلات التجارية ولا سيّما النفط والغاز والمعادن الثمينة لم يعد حكراً للدولار. إقدام روسيا على تسعير الغاز بالروبل واليوان والروبية شكّل ضربة قاضية على الدولار واليورو. هذا لا يعني نهاية الدولار، بل تراجعاً كبيراً في دوره، بل يُنهي قوامته ويقلّص النفوذ الأميركي. فعندما تحجم الدول عن التعامل بالدولار، ينخفض الطلب عليه وتضعف إمكانية طباعته من أجل تمويل العجز في الموازنة الأميركية. فالدول التي تحمل الدولار كعملة احتياط، كانت توظّف احتياطاتها في سندات الخزينة الأميركية. وبالتالي فإنّ أميركا لن تجد من يحمل سندات الخزينة، ما يعني تقليص نفقاتها على حساب الضمان الاجتماعي والنفقات الاجتماعية. ستحافظ النخب الحاكمة على الإنفاق في الدفاع وسائر المؤسسات الأمنية والعسكرية، ما يجعل الصراع مع شرائح واسعة من المجتمع الأميركي أمراً لا مفرّ منه. هذا هو مستقبل الرأسمالية الريعية المالية، أي التصادم الداخلي مع مكوّنات المجتمع.

> **«باحث وكاتب اقتصادي سياسي والأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي وعضو الهيئة التأسيسية للمنتدى الاقتصادي والاجتماعي في لبنان**

لا مواجهة إلا باتّحاد القوى الاقتصادية العالمية

هيمنة الدولار

من غير المنطقي راهناً، التفكير بأنّ أي عملة في العالم قادرة على استبدال الدولار كعملة مهيمنة على النظام المالي العالمي. فالمسار الذي اتّخذه الاقتصاد الأميركي، ومعه الدولار، لتسيّد النظام العالمي أتى في ظروف جعلت الاقتصاد الأميركي مركزاً مالياً قادراً على ضخ العالم بالسيولة. وهذه الظروف لا تتوافر عند أي دولة، على الأقل في الوقت الحالي. إلا أنّ التخفيف من هيمنة الدولار ووضع حدّ له أمر ممكن. وذلك عبر قيام أحلاف تجارية بآليات دفع وتمويل غير مرتبطة بالدولار تخفّف الاعتماد عليه. وهذا الأمر كان يحتاج إلى صدمة قد تكون إحدى بوادرها العقوبات على روسيا والأحداث التي تلتها

ماهر سلامة

يكثر الحديث اليوم عن حاجة روسيا والصين لتأمين نظام أو أنظمة بديلة عن الـ«سويفت»، تحسّباً لمسار صدام قد يقع مع الولايات المتحدة، يؤدّي إلى إخراجهما، أو أي منهما، من نظام الـ«سويفت»، كما حدث مع روسيا أخيراً. لكن الأمر ليس بهذه البساطة، فنظام الـ«سويفت» هو مجرّد نظام رسائل، دوره نقل أوامر التحويلات المالية بالدولار بين الحسابات. وتستخدمه أميركا في عقوباتها لمنع الدول التي تريد منعها - مثل روسيا اليوم وإيران سابقاً - من استخدام الدولار في معاملاتها التجارية. الدولار هو السلاح الحقيقي الذي تملكه أميركا بوجه الدول التي تتحدّاها، وهيمنة الدولار على النظام المالي العالمي هو ما يجعل هذا السلاح فتاكاً.

مسار الهيمنة

بوادر صعود الاقتصاد الأميركي كاقتصاد مهيمن، بدأت خلال الحرب العالمية الأولى. فمع اشتداد الحرب وزيادة الخسائر المادية والبشريّة، ازدادت الحاجة للمواد الأوّلية والتصنيع لتعويض الخسائر. كانت أميركا، وهي البلد الكبير الوحيد الذي لم يتضرّر من الحرب، المصدر الوحيد لهذه الحاجات. خصوصاً أنّ مواردها من المواد الأولية كانت قادرة على تغطية حاجات الدول التي دمّرتها الحرب. كما أنّ قدراتها الصناعية كانت كافية لزيادة الإنتاج بشكل يلبّي زيادة الطلب. لذا، ازدادت الحاجة إلى الاستيراد من أميركا، ما أدّى ذلك إلى مراكمة دين هائلة على الدول الأوروبية واليابان لحساب الولايات المتحدة. وهذه الأخيرة رفضت التسامح مع الدول المدينة رغم أنّ هذه الديون كانت غير قابلة للسداد. ففي نهاية المطاف، أدّى ذلك إلى تخلّف الدول المدينة عن السداد ما جعل احتكاك الأسواق المالي مع العالم غير متماسك لأنها كانت دائناً عالمياً مصدراً لرأس المال، في الوقت نفسه تملك فائضاً تجارياً كمصدّر للبضائع والسلع. وقد أثبتت هذه التجربة فشلها مع فقدان السيطرة على دين الدول التي تخلّفت في نهاية الأمر عن دفعها.

تأسيساً على هذه المرحلة، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية عام 1944، نظام «بريتون - وودز» الذي أرسى الدولار كعملة احتياط متداولة عالمياً ترتبط فيها كلّ عملات العالم فيما هو مربوط بالذهب. هكذا أصبح الدولار عملة مهيمنة (يُشار إلى أنّ تطبيق هذا النظام اكتمل في نهاية الخمسينيات بعد تعافي اقتصادات أوروبا واليابان). وخلال حقبة الستينيات تدفّقت أموال الصناديق الاستثمارية الأميركية الخاصة، إلى الاستثمار في الأسواق الخارجية، ما أدّى إلى ارتفاع كتلة الدولار الموجودة في الخارج. عندها أصبح العمل بنظام «بريتون - وودز» غير مستدام بالنسبة للولايات المتحدة. فأساس النظام كان قائماً على أنّ لدى الولايات المتحدة احتياطاً كافياً من الذهب، إلا أنّه بحلول عام 1970، بلغ حجم كتلة الدولار خارج أميركا نحو 24 مليار دولار مقابل محفظة أميركية من الذهب بقيمة توازي 11 مليار دولار. وفي عام 1971 أعلن الرئيس الأميركي، ريتشارد نيكسون، فكّ ارتباط الدولار بالذهب، لينتقل العالم إلى نموذج النظام النقدي المعاصر.

يقول المؤرّخ الاقتصادي آدم توز، إنّ التحرّر من نظام «بريتون - وودز» كانت نتيجته ازدهار الأسواق المالية، التي تحرّرت من «عوائق» ارتباطات أسعار الصرف بالدولار. هكذا أصبحت مصارف «وول ستريت» هي العامل الدافع للنظام النقدي. فالمعقل المالي الذي آمّنته الأسواق المالية الأميركية، بأدواتها المالية المعقّدة، وحجم التداول الهائل فيها، هو ما حدّد شكل النظام النقدي الجديد. وقد سهّل صعود هذه الأسواق المالية، استدانة الدول بالدولار لتمويل استيراد المقوّمة بالعملة الأميركية وأهمها النفط. ربط أسعار النفط بالدولار، لعب دوراً كبيراً في هيمنة العملة الخضراء على الأسواق العالمية.

وحتّى في ظلّ وجود الاتحاد السوفياتي، كانت هيمنة الدولار على الصعيد العالمي شبه مطلقة. فالاتحاد السوفياتي السابق كان يعتمد على الدولار بشكل كبير، وبالذات من أجل استيراد الحبوب. وكان يبيع نفطه بالدولار، ويغطي عجز ميزان مدفوعاته بالاستدانة بالدولار. بحسب آدم توز، فإنه في نهاية الثمانينيات كانت ديون الكتلة الشيوعية بالدولار تساوي نحو 112 مليار دولار. ومع سقوط الكتلة الشرقية، استمرّ مسار الهيمنة المطلقة للدولار، حتى وقعت الأزمة المالية العالمية ابتداء من أميركا عام 2008، فكان لها انعكاس سلبي على الثقة بالدولار وعلى الثقة بقيادة الولايات المتحدة للنظام المالي العالمي.

بداية سقوط الدولار: أمر شكلي أم حقيقة؟

منذ بداية الألفية الحالية، انخفضت حصّة الدولار من الاحتياطات العالمية بشكل كبير، وهو أمر تسارع بعد أزمة عام 2008. لكن هذا الانخفاض لا يعني بالضرورة أن هيمنة الدولار تتلاشى، لأنّ تنويع الاحتياطات الذي حصل خلال تلك الفترة، لا يشمل عملات الدول «المعادية» للدولار، بل كان يجزئه الأكبر، متّجهاً نحو عملات تدور في فلك الحلف المتحكّم بالنظام المالي العالمي. وشملت هذه العملات الكرونا السويدي، والدولارَين الكندي والأسترالي، واليُوان الكوري، الاستثناء الوحيد كان اليوان الصيني الذي يمثّل نحو 25% فقط من احتياطات «العملات غير التقليدية». في هذا السياق، تلعب هذه العملات، باستثناء اليوان، دوراً يماثل دور الدولار في مفاعيل عملية الهيمنة. فإذا قرّرت أميركا فرض العقوبات على دولة ما، تحذو دول حذو القرارات الأميركية، لأنها، هي وعملاتها، تحت رحمة النظام المالي العالمي الذي تتسيّده الولايات المتحدة.

من المؤكّد أنّ نظام العملة الواحدة هو أقل كلفة على العملية التجارية بين الدول. إذ يخفّف من الحاجة إلى تنسيق سلّات العملات الاحتياطية، وتفادي مخاطر التعرّض إلى خسائر بسبب تذبذب أسعار صرف العملات المختلفة.

يقول الاقتصادي باري أيشنغرين في كتابه «كيف تعمل العملات العالمية: الماضي والحاضر والمستقبل»: إنّ اعتماد عملة واحدة يعني عرض أسعار الصادرات من مختلف الدول بنفس العملة، فيسهّل على المتعاملين المقارنة بين أسعار السلع. ويسهّل على المنتج تسعير إنتاجه، إذ يُسعّر كل استيراده لمُدخلات الإنتاج بالعملة نفسها، ما يحميه من التقلّبات في أسعار الصرف المتعددة.

لكنّ تحويل الدولار إلى سلاح دمار شامل للاقتصادات في حالات النزاع شكّل دافعاً للدول لتُعيد تقييم المقارنة بين الأكلاف والمخاطر، بين جهة، وبين تحمّل مخاطر الإصابة بخسائر هائلة بقرار واحد من الولايات المتحدة من جهة أخرى. والحدث الذي يُثير هذه المخاوف هو تجميد احتياطات روسيا التي خسرت نحو 300 مليار دولار من احتياطاتها بعد تجميد أرصدة مصرفها المركزي في الدول الغربية. وقد تكون الخطوات التي اتخذتها روسيا، مثل طلب استلام دفعات النفط والغاز من الدول «غير الصديقة» بالروبل، أحد بوادر كسر هيبة الدولار. بالإضافة إلى إعلان روسيا تثبيت سعر بيع وشراء الذهب على 5000 روبل للغرام، وهو عملياً يعني تثبيت سعر الروبل قياساً للذهب، ما يمثّل سابقة لأيّ عملة منذ قيام نظام «بريتون - وودز» حين رُبطت كلّ العملات بالدولار.

> **59%**
> هي حصّة الدولار من الاحتياطات العالمية بالعملات الأجنبية التي انخفضت بنسبة 7% مقارنة مع بداية الألفية

كسر الهيمنة عبر الأحلاف التجارية

في الوقت الحالي لا يوجد أي اقتصاد لديه العمق المالي الكافي لاستبدال الولايات المتحدة كقائد ومصدر للسيولة العالمية. لذلك يصعب على عملة واحدة أن تحلّ محل الدولار كعملة مهيمنة عالمياً، بل يحتاج الأمر إلى قوى اقتصاديّة عالمية متّحدة تواجه النظام القائم. قد يكون ذلك على شكل أحلاف تجارية (حلفاً واحداً أو أحلافاً متعددة). بمعنى أن تكون هذه الأحلاف مستعدة للقيام بتبادلاتها التجارية بالعملات المحلّية.

حلف الـ«بريكس» أحد الأمثلة. وهو حلف تجاري جديد نشأ عام 2009 إثر الأزمة المالية العالمية، ويضم: البرازيل وروسيا والصين والهند وجنوب أفريقيا. يمثّل هذا الحلف نحو 24% من الناتج المحلي العالمي، ونحو 16% من قيمة التجارة العالمية. قد يشكّل هذا النوع من الأحلاف تهديداً للدولار إذا كانت لديه الجرأة للقيام بتحدٍّ جدّي.

تحدّث عن هذا الأمر الباحثتان ميهايلا بابا وزونغيان ليو، في ورقتهما البحثية «هل يمكن لدول «بريكس» أن تنزع دولرة النظام المالي العالمي؟». قدّم البحث سيناريوهَين لتحدي الدولرة العالمية، هما:

-السيناريو الأول، يكون من خلال قيام هذه المجموعة بتحدّي الدولار، وذلك عن طريق إنشاء وإدارة مؤسسات وآليات سوق جديدة غير قائمة على الدولار، بل على عملات دول مجموعة الحلف، أي خلق نظام مالي عالمي موازٍ ومستقل عن هيمنة الدول الغربية والقواعد التي تضعها.

-أما السيناريو الثاني، فهو من خلال محاولة «إصلاح» الوضع القائم، وذلك عن طريق اجتماع الدول الأعضاء وإعادة التفاوض مع الدول المهيمنة على شروط النظام المالي القائم ما يعني الانتقال من أحادية القطب إلى التعدّدية. وهذا لا يبدو منطقياً لأنّ فرضية قبول الولايات المتحدة بالتفاوض على أمر كهذا بشكل سلمي شبه مستحيلة.

لقد وضعت مجموعة الـ«بريكس» بعض الأسس التي يمكن أن تكون بمثابة بنى تحتية لنظام موازٍ. فمثلاً أنشأت «بنك التنمية الجديد» الذي يلعب دور مؤسسة تمويلية للمشاريع التنموية بعملات دول المجموعة. كما تعمل على نظام دفع جديد يمكن أن يُدمج من خلال إنشاء عملة رقمية خاصّة بالمجموعة. كما تقوم هذه الدول، على الصعيد الفردي، بمبادرات لفكّ الارتباط عن الدولار، مثل الصين التي أصدرت منذ سنوات قليلة عقوداً آجلة للنفط مقوّمة باليوان، وأنشأت نظام تحويلات لليوان عابر للحدود، يوازي نظام الـ«سويفت»، كما أنشأت روسيا نظاماً خاصاً بالروبل أيضاً. كلّ هذه الأمور تأتي بهدف فكّ الارتباط مع الدولار. لكن هذه البنية التحتية تبقى غير كافية للخروج العالمي عن هيمنة العملة الخضراء. أولاً، لأنّ معظم هذه الإجراءات تأتي في سياق فردي، أو باتفاقات ثنائية. وثانياً، لأنّ هناك عوائق أمام القيام بإجراءات على نطاق أوسع، بسبب العلاقات المتارجحة بين بعض دول المجموعة - مثل العلاقة بين الهند والصين. كما أنّ اقتصادات مثل البرازيل وجنوب أفريقيا، مكشوفة بشكل كبير على العقوبات الأميركية لأنها منخرطة في نظام الدولار العالمي أكثر من باقي دول المجموعة. إلا أنّ ما حدث مع روسيا من عقوبات وتجميد للأصول، قد يكون حافزاً لهذه الدول للسعي إلى تخفيف الاعتماد على نظام الدولار الأميركي. وهذه الاحتمالات لا تقفّ فقط عند مجموعة الـ«بريكس»، بل أيضاً يمكنها أن تمتد إلى أحلاف تجارية أخرى مثل الدول المشاركة باتفاق «الشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة»، الذي وقّعته الصين مع 14 دولة عام 2020 (منها إندونيسيا وسنغافورة وتايلاند وفيتنام وأستراليا واليابان وكوريا الجنوبية).

لذا قد يكون البديل من هيمنة الدولار، هو أن تبادر عدّة أحلاف تجارية إلى إنشاء آليات دفع خاصّة بها لا ترتبط بالدولار، بل بعملات الدول المشاركة. وإنشاء آليات لمدّ الدول بعضها البعض بالسيولة اللازمة، عبر نظام يشبه الـ(Swap Lines). لكنّ انتقال هذه الدول لمواجهة الدولار الأميركي، يحتاج إلى توافر ظروف تجعلها مستعدة لتحمّل مخاطر مواجهة أميركا وعقوباتها. وقد يشكل تجميد احتياطات روسيا المالية ناقوس خطر للعديد من هذه الدول التي رأت اليوم أنها قد تفقد سنوات من مراكمة الاحتياطات بقرار واحد من الرئيس الأميركي.

> **قد يكون البديل من هيمنة الدولار، هو أن تبادر عدّة أحلاف تجارية إلى إنشاء آليات دفع خاصّة بها لا ترتبط بالدولار**

> **7**
> تريليون دولار هو إجمالي مطلوبات المصارف في العالم بالدولار الأميركي مقارنة مع 500 مليار دولار مطلوبات المصارف باليوان الصيني

كتاب

في العدد السابق نُشر مقال بمثابة قراءة في كتاب «العلم والعولمة: قراءة في الأزمة من منظور اقتصادي ومعرفي»، أما في هذا العدد فقد وقع الاختيار على نشر فصل من هذا الكتاب يتطرّق فيه الكاتب، رئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق عبد الحليم فضل الله، إلى السلوك الجبري الذي تفرضه قوى الإنتاج، وإلى روح القطيع التي تحكم سلوك مجتمع الاستهلاك ومنطقه وممارساته. فقد أحدثت العولمة تحوّلات كثيفة وعميقة في حياة الناس وطرق عيشهم، لكن العلوم الإنسانية والاجتماعية ما زالت عاجزة عن التقاط أبعادها وسبل التكيّف معها

العلم والعولمة [2]

الولادة الجديدة لمجتمع الاستهلاك

فقدت علوم الإنسان السيطرة على موضوعات البحث بفعل ما تنطوي عليه منتجات الحداثة وما بعدها من كثافة وتسارع. يظهر في السياق، ثلاثة أنواع من التنازع الناتجة من العولمة التي قاربت موجتها الجديدة على الانكسار: أولّها التنازع بين الخيار الفردي والخيار الجماعي. إذ يميل الأفراد إلى الاستفادة القصوى من الانفتاح الثقافي والإعلامي الذي تُتيحه العولمة، بمعزل عن انعكاس ذلك على هويّة المجتمع وثقافته وتراثه. فعلى سبيل المثال، أصرّت فرنسا في النقاشات التي دارت في إطار منظمة التجارة العالمية في أواسط التسعينيات، على استثناء المواد الثقافية من موجبات تحرير تجارة الخدمات. إنّ حصر الخيارات الاستهلاكية للأفراد أو توسيعها هو موقف قيمي بالدرجة الأولى أكثر ما هو موقف اقتصادي أو سياسي. فبالنسبة إلى بعض الأمم تتقدّم الخيارات الفردية على مثيلاتها الجماعية، في حين ترى أمم أخرى أنّ لحفظ الثقافة المحلية وصون الخصوصية، الأسبقية دائماً على خيارات الأفراد وميولهم.

النوع الثاني هو التجاذب بين تحرير الأسواق والتدخّل الحكومي. وهذا أيضاً يرتبط بالمفاضلة بين الحرية الفردية والمصلحة العامة. فالسوق الخالية من القيود هي انعكاس لعدد كبير من الخيارات الفردية، فيما يعبّر التدخل الحكومي عن التفضيلات الجماعية المفترض أن تُحدّد بوسائل سياسية كالانتخابات.

يمكن للأسواق الحرّة أن تُسهم في وضع سلّم الحاجات: ما الذي ينبغي إنتاجه وكيف؟ لكنها لا تقدر على التعامل مع انعكاساتها الخارجية السلبية التي لا يلتقطها تلقائياً نظام التسعير، كالإضرار بالبيئة والتوزيع المجحف للأصول والثروات واستفحال الفقر وتقنين بعض السلع الأساسية كالمياه والكهرباء وضعف تأدية الخدمات الحيوية مثل جمع النفايات. ويشمل إخفاق الأسواق على نحو خاص، الفشل في تقديم علاج فعّال لبعض الأمراض المستعصية في البلدان قليلة النمو. تسمح الأسواق الحرة مثلاً برفع أسعار الأدوية مع أنه يتسبّب في موت مئات آلاف الأشخاص سنوياً.

نوع ثالث من التجاذب يتمثّل في التعارض بين المستويين المحلي وما فوق المحلي في اتخاذ القرارات الأساسية التي تمسّ المواطنين. ففي عالم معولم تقع المنظمات الدولية خارج نطاق الضبط الديموقراطي، فلا تأخذ بالاعتبار مواقف المتأثرين بقراراتها وردود أفعالهم تجاهها. يُنظر إلى صندوق النقد الدولي في معظم أنحاء الدول النامية على أنه رمز لاستبداد بيروقراطي مناقض للديموقراطية.

إنّ أشكال التنازع المذكورة هي ذات طبيعة سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى، لكنّها تنطوي على جوانب أخلاقية لا يمكن إهمالها. فطريقة استجابتنا للعالم المحيط بنا يحدّدها مزيج من القيم والتاريخ والثقافة والتفاعل مع الخارج. وتأخذ الشركات الكبرى هذا الأمر بالاعتبار، وبقدر ما تعمل على خلق حاجات جديدة للمستهلكين، فإنّها تحرص كذلك، على تقصّي الميول والنزعات الاستهلاكية النابعة من قلب التقاليد الشعبيّة. إنّ الماركات التي لا تتكيّف مع الثقافات المحليّة تجد صعوبة في إيجاد طريقها نحو الازدهار، والماركات المئة الأهم في الترتيب العالمي، والتي هي بمثابة «عُملة اجتماعية» Social Currency، تحصل على قيمتها من خلال خلق صِلات شعورية قويّة مع الزبائن على اختلاف ثقافاتهم. وهذا بالتأكيد لا يتوافق مع الفرضية الشائعة التي تُفيد بأنّ تقدّم العولمة الاقتصادية يؤدّي إلى تراجع التحدّي الذي تفرضه الثقافات المحلية.

جدل الحداثة وما بعدها

أوجدت العولمة سيلاً من السلع والمنتجات والخدمات الجديدة التي ترتبط بحاجات غامضة وغير مؤكدة. ومع ذلك فإنّ الانفصال عنها يخلّف شعوراً بغيضاً بالحرمان، يُضاهي الحرمان من إشباع حاجات أساسية. هذا يجعل موجة الاستهلاك الجديدة ظاهرة ما بعد حداثوية أكثر ما هي حداثوية. إنّها تحظى بقدر أقل من العقلانية، وترافقها تصرّفات اقتصادية لا تتّسم بالحد الأدنى من الرشد. أطلق منظّرو مدرسة فرانكفورت اسم «السيولة الثقافية» على انتشار قيم الاستهلاك العبثي التي تجذب الجماهير إلى مزيد من الشراء. لقد أُصيب أعضاء معهد البحث العلمي في هذه المدرسة بالذهول بعد انتقالهم القسري إلى الولايات المتحدة الأميركية في أواخر الثلاثينيات عندما شاهدوا بأمّ العين كيف تحوّلت الثقافة إلى شكل من أشكال الصناعة في هيوليوود ووسائل البث الإعلامي ودور النشر. آنذاك مارست الشركات الاحتكارية الضخمة، أساليب استغلالية ماكرة، كان لها الأثر البالغ في جعل الناس يهتمون بنظام اجتماعي وتصورات حياتية أحبطت اهتماماتهم الجوهرية وكبتت حاجاتهم الأساسية. إنّ تصنيع الثقافة، بتعبير هؤلاء، يُفقد الثقافة والفنون أصالتها وعمقها وملامحها الثورية، وعوضاً عن أن تكون أداة تغيير وترقٍّ، يُصبح هدفها تلبية حاجات المستهلكين ودمجهم في النسق الثقافي القائم.

تنطلق الحداثة من وجود تصوّرات مسبقة لما هو جميل وما هو مفيد فيما يحاول مؤيّدو ما بعد الحداثة التحلّل من ذلك. ويعبّر شارلز جانكس عن ذلك أفضل تعبير بقوله «إنّ النهاية الرمزية للحداثة في الهندسة المعمارية على سبيل المثال كانت عند الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر 15 تموز 1972، عندما نُسف مبنى بريت-إيغو في سانت لويس المستخدم لسكن ذوي الدخل المحدود، باعتباره بيئة لا يمكن السكن فيها». وبخلاف ذلك كانت إبادة التراث المعماري في وسط بيروت خلال إعادة إعمارها في التسعينيات مثالاً صارخاً على الابتذال الحداثوي الذي مهّد لثورة استهلاكية (يا لغرابة الوصف) لدى اللبنانيين عصفت بقوى الإنتاج، لترث هذه الدولة المتوسطية الصغيرة أزمة لا سابق لها في تاريخ المنطقة ونادرة الحدوث في العالم.

> لا تخلو النزعة الاستهلاكية من سمات إيديولوجيّة، ففي سياق التقدم الاقتصادي ترتفع المداخيل، وتزداد معها قدرة فئات جديدة من الناس على الادّخار ما يجعل نمط الإنتاج الرأسمالي منطوياً على ميل انكماشي عميق في المدى الطويل

لقد تهاوت بفعل ما تقدّم أفكار ممثلي الحداثة العليا، ما أفسح في المجال أمام ظهور خيارات أخرى تقوم على التعلّم من المشاهد الشعبية العفوية والنسج على منوالها، وبذلك تكون رواية ما بعد الحداثة، كما يذكر ديفيد هارفي، قد قامت بنقلة من «هيمنة الأبستمولوجيا إلى هيمنة الأنطولوجيا»، أو بتعبير آخر الانتقال من الاهتمام بمعرفة الوجود وفهمه إلى تحقيقه وتجسيده.

إنّ تخلّص ثقافة الاستهلاك في حقبة ما بعد الحداثة من ترميزاتها الطبقية والفئوية، واعترافها الظاهري بتنوّع الثقافات، مكّنها من طرق أبواب جديدة والولوج منها إلى مساحات لم تطأها أقدام الحداثة من قبل. فالموجة الحاليّة لثقافة الاستهلاك الملتصقة بثورة المعلومات والاتصالات، تميّز على نحو ذكي وبارع بين القيم الأساسية والمكونات الجوهرية للهوية، وبين عناصر السلوك اليومي الثانوية، فتتحاشى الاصطدام بالأولى، فيما تعمل على تكييف الأخيرة مع متطلّباتها والتكيّف معها في الوقت نفسه.

ومع ذلك لا تخلو النزعة الاستهلاكية من سمات إيديولوجيّة، ففي سياق التقدم الاقتصادي ترتفع المداخيل، وتزداد معها قدرة فئات جديدة من الناس على الادّخار ومراكمة الثروات التي تُستخدم إمّا في المضاربات المسبّبة للأزمات المالية، أو في زيادة الإنتاج الذي يحصل حينها بمعدلات تفوق نمو الطلب الاستهلاكي. وبما أنّ الادّخار يعني سحب قيم متزايدة إلى خارج الدورة الاقتصادية، فهذا يجعل نمط الإنتاج الرأسمالي منطوياً على ميل انكماشي عميق في المدى الطويل، ولا يمكن تفادي ذلك دون إقناع الناس بالإنفاق بلا هوادة لتلبية حاجات ثانوية وكمالية، أو لخلق حاجات جديدة لهم لم تكن موجودة من قبل، وغالباً ما يكون ذلك على حساب أساسيّات العيش.

إنّ رفع منفعة الاتصال بالشبكة العنكبوتية مثلاً إلى مصافّ المنافع المستمدة من خدمات التعليم والصحة والسكن والسلع، وغيرها من الخدمات كالمياه والكهرباء والطاقة والمواصلات، يسمح للاحتكارات الكبرى بالسيطرة على الموارد الحيوية وزيادة كلفتها، أي خفض إمداد الفقراء بها، وتعويض الحرمان المترتب على ذلك بدفق متواصل من مواد التسلية والترفيه، وبتوسيع قدرتهم على النفاذ إلى الفضاء الافتراضي من خلال تقنيات وتطبيقات متناسلة. وقد شاهدنا في أزمات لبنان مثلاً، كيف كانت ردود فعل الناس عالية القوة عندما جرى المسّ بحقوقهم الافتراضية في الاتصال والتواصل (زيادة الضريبة على خدمة الواتساب عام 2019 مثلاً)، مقارنة مع ردود فعل أقل فعاليّة وقوّة عندما أفتُئت بعد ذلك على حقوقهم الأساسية في الغذاء والدواء والتعليم والنقل والطاقة...

فجوة التكيّف

إنّ من أسباب الفوضى والتشوّش المصاحب للاستهلاك المعولم يكمن في ما أسميناه سابقاً بفجوة التكيّف. فالسِمة الرئيسية للعصر الرقمي، هي أنّ الطفرات التكنولوجية تسير بسرعات متفاوتة بين مسار وآخر. ففي مقابل الثورات المتتالية في المجال الافتراضي، تتطوّر المسارات الأخرى بوتيرة أقل. المؤشّر البارز على ذلك هو الانخفاض الهائل في كلفة الحصول على المعلومات وتداولها. فيما كان تطوّر إنتاج السلع وتكاليفه يجريان بوتيرة أبطأ بكثير، فلو أنّ أسعار السيارات انخفضت بنفس نسبة انخفاض أسعار أشباه المواصلات، لصار سعر السيارة خمسة دولارات فقط! أما كلفة تشغيل خطوط النقل الجوي فتراجعت خلال العقود الأربعة الأخيرة إلى النصف فقط.

إنّ فجوة التكيّف تنشأ أيضاً من اختلاف وتائر التقدم السريعة على المستوى التكنولوجي والبطيئة في مجال الأنظمة القانونية والاقتصادية والاجتماعية المساعدة على استيعاب الأجيال الجديدة للتقانة، وهذه يصعب توطينها من دون تكييف ثقافي موازٍ ومن دون إزالة العوائق الاجتماعية التي تعترض الاستفادة منها. فالعصر الرقمي يزيد قدرة الأفراد على تلقّي البيانات ويعزّز التفاعل فيما بينهم وذلك بغضّ النظر عن انتماءاتهم، لكنّ الموانع الثقافية تُبطئ انتشار تأثيرات ذلك في المجتمع.

وعلى العموم، ما إن تخرج المجتمعات المتلقّية من فجوة ناتجة عن صدمة تكنولوجية سابقة حتى تقع في فجوة أخرى ناتجة عن صدمة لاحقة. لنتذكر استطراداً هنا أنّ الموجات التكنولوجية في تصاعد من حيث قوة التأثير والالتصاق بالأفراد والمجتمع، وهي تنحو أكثر نحو الفردانية. كلمة خصوصية Privacy تقع الآن على رأس قاموس لغة الاتصالات ما بعد الحداثية. كلنا يبحث عن الخصوصية التي تمنع تعقّب خطواتنا داخل عالم الميديا الاجتماعية. لم تكن هذه الكلمة تعني شيئاً بالنسبة إلى موجة الاتصالات السابقة فالتلفاز، كما الهاتف، كان يُستهلك جماعياً ومن دون خصوصية تُذكر. التقنيّة الجديدة تمنحنا فرصة كبيرة للتفاعل المتواصل وفرصة أكبر للانعزال، وتقوم أبجديّتها المتناقضة على الاتصال والانفصال، بحيث يتمدّد الفرد اجتماعياً وثقافياً ونفسيّاً ما بين عوالم مختلفة ومتباعدة يتنقل فيما بينها كما تتنقل أصابع العازف على مفاتيح البيانو، منتجاً سمفونية حياتية غريبة وهجينة.

وفي خلاصة القول، أحدثت العولمة تحوّلات كثيفة وعميقة في حياة الناس وطرق عيشهم، لكنّ العلوم الإنسانية والاجتماعية تعجز حتى الآن عن التقاط أبعادها ومعرفة سبل التكيّف معها. فمن الشقوق الكثيرة الموجودة في جدران البحث العلمي مرّت موجات الحداثة وما بعدها من دون حسيب أو رقيب. وعلى هذا النحو الخاطئ جرى المزج بين الابتكارات العلمية والثقافة، التي تحوّلت بفعل تقنيات الاتصال إلى سلعة يجري تبادلها وتلقّيها في سوق ارتُئيَ أن تكون متجانسة ومتمحورة حول مركزها الغربي. وهذا مستمدٌ من نظرة الحداثة المتناقضة للفرد، الذي هو في السياسة والهويّة غارق في الخصوصية، ويعبّر عن انتمائه من خلال التمايز عن الآخرين، لكنه في الاقتصاد منصهر في السلوك الجبري الذي تفرضه قوى الإنتاج، ومنقاد إلى روح القطيع التي تحكم سلوك مجتمع الاستهلاك، ومنطقه وممارساته. وهذه مفارقة تُعزى كمثيلاتها إلى زيادة مظاهر الانطواء على الذات في مجتمع المعرفة والانقطاع المنهجي الذي اتسع نطاقه بين حقول العلم، وتتصل كذلك بإعادة تعريف الوظائف الاجتماعية للعلوم، وترتيبها ضمن هيكليّة لا تعبّر عن حقيقة الإنسان وغاياته وآماله.